الباب الرابع

حركة التأليف المعجمى فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين[1]

(١) قُدم هذا البحث إلى المؤتمر الدولى الذى عُقد بكلية دار العلوم فرع الفيوم - جامعة القاهرة فى الفترة من ١٣ - ١٤ مارس ٢٠٠٤، وكان المؤتمر بعنوان: «الفكر الإسلامى فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين بين التجديد والتقليد. نظرة توظيفية للتراث الإسلامى فى العصر الحاضر».

تمهيد

على الرغم من قِدَم الإسهامات المعجمية وكثرة التأليف فى المعاجم العربية، وتنوع الاتجاهات المعجمية، فإن العرب لم يكونوا أول مبتكر فى فن التأليف المعجمى، فقد «بدأت صناعة المعاجم منذ عهد سحيق على يد الهنود، واليونانيين، والمصريين القدماء، والصينيين، ثم نمت فى العصر الوسيط على أيدى العرب، ومنهم استفاد العبرانيون وغيرهم»[١].

ونستطيع أن نقول: إن التفكير المعجمى، والرغبة فى عمل قوائم لفظية معجمية، وصنع المعجمات المختلفة قد صاحب الارتقاء البشرى والإنسانى.

وإذا كان معجم (العين) هو أول معجم عربى شامل، فإن معجم (الجيم)، لأبى عمرو الشيبانى، يعد أول معجم فى العربية، بالمعنى العام[٢]. وقلنا ما قلناه عن (العين)، لأنه يمثل قمة مدرسة نظام المخارج التقليبية، وكان يدل على دقة المنهج، وشمولية الإحصاء، وحسن الترتيب، وبراعة التنظيم. أما (الجيم)، فهو وإن كان يتبع النظام الألفبائى، إلا أنه يتسم بالخلط والاضطراب أحيانا، وبالغموض والإبهام فى أحيان أخرى. نقول ذلك على الرغم من عناية الشيبانى الكبيرة باللهجات المختلفة، والغريب، والحوشى، والنادر من الألفاظ.

(١) صناعة المعجم الحديث، ص ٢٥.

(٢) ولد الشيبانى سنة (٩٢ هـ)، بينما كانت ولادة الخليل بن أحمد سنة (١٠٠هـ)، فإذا عرفنا ذلك، فإننا نرى أن أبا عمرو قارب الأربعين عند نضوج (الخليل) الفكرى، وأنه، أى الخليل، ألف معجمه بحدود عام (١٦٥هـ)، أى قبيل وفاته بسنوات ولم يتمه، على أغلب الروايات، يكون أبو عمرو بذلك قد انتهى من وضع أسس معجمه قبل سنين . . . فضلا عن أن الرحلة إلى البادية تتطلب الحيوية، والنشاط، والقدرة على الانتقال والترحال، لاستكمال تدوين المادة اللغوية، ولا يمكن أن يكون أبو عمرو وضعه فى شيخوخته».
المدارس المعجمية. ص ٢٤٨.

لسان العرب

للإمام العلامة ابن منظور

طبعة مراجعة ومصححة
بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المتخصصين

الجزء الأول

(أ — ب — ت — ث)

باب الهمزة

[آ] الألف: تاليفها من همزة ولام وفاء، وسميت الفًا لأنها تألف الحروف كلها، وهى أكثر الحروف دخولاً فى المنطق، ويقولون: هذه ألفٌ مؤلَّفةٌ، وقد جاء عن بعضهم فى قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ أن الألف اسم من أسماء الله تعالى وتقدس، والله أعلم بما أراد، والألف الليِّنة لا صَرْفَ لها إنما هى جَرْسُ مدَّة بعد فتحة، وروى الأزهرى عن أبى العباس أحمد بن يحيى ومحمد بن يزيد أنهما قالا: أصول الألفات ثلاثة ويتبعها الباقيات: ألف أصلية، وهى الثلاثى من الأسماء، وألف قطعية وهى فى الرباعى، وألفٌ وصلية وهى فيما جاوز الرباعى، قالا: فالأصلية مثل ألِفٍ ألِفٍ وإلْفٍ والْفٍ وما أشبَهه، والقطعية مثل الف أحمد وأحمر وما أشْبَهه، والوصلية مثل ألف استنباط واستخراج، وهى فى الأفعال إذا كانت أصلية مثل الف أكَل، وفى الرباعى إذا كانت قطعية مثل ألف أحْسَن، وفيما زاد عليه مثل ألف استكبر واستدرج إذا كانت وصلية، قالا: ومعنى الف الاستفهام ثلاثة: تكون بين الآدميين بقولها بعضهم لبعض استفهامًا، وتكون من الجبّار لوليه تقريرًا ولعدوّه توبيخًا، فالتقرير كقوله عز وجل للمسيح: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ قال أحمد بن يحيى: وإنما وقع التقرير لعيسى، عليه السلام، لأن خُصُومه كانوا حُضورًا فأراد الله عزّ وجل من عيسى أن يُكَذِّبهم بما ادَّعَوْا عليه، وأما التَّوْبيخُ لعدوّه فكقوله عزّ وجل: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ وقوله: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ وقال أبو منصور: فهذه أصول الألفات، وللنحويين ألقابٌ لألفاتٍ غيرها تعرف بها، فمنها الألف الفاصلة وهى فى موضعين: أحدهما: الألف التى تثبتها الكتبة بعد واو الجمع ليفصل بها بين واو الجمع وبين ما بعدها مثل كَفَرُوا وشكَرُوا، وكذلك الألف التى فى مثل بغزوا ويدعوا، وإذا استغنى عنها لاتصال المكنى بالفعل لم تثبت هذه الألف الفاصلة، والأخرى: الألف التى فصلت بين النون التى هى علامة الإناث وبين النون الثقيلة كراهة اجتماع ثلاث نونات فى مثل قولك للنساء فى الأمر افْعَلْنانِّ، بكسر النون وزيادة الألف بين النونين، ومنها ألف العبارة، لأنها تُعبر عن المتكلم، مثل قولك: أنا أفْعَلُ كذا، وأنا أستغفر الله، وتسمى العاملة، ومنها الألف المجهولة مثل ألف فاعِلٍ وفاعُولٍ وما أشْبهها، وهى ألف تدخل فى الأفعال والأسماء مما لا أصل لها، إنما تأتى لإشباع الفتحة فى الفعل والاسم، وهى إذا لَزِمتْها الحركةُ كقولك: خاتِم وخواتم صارت واوًا لمَّا لزمتها الحركة بسكون الألف بعدها، والألف التى بعدها هى ألف الجمع، وهى مجهولة أيضًا، ومنها ألف العوض وهى المبدلة من التنوين المنصوب إذا وقفت عليها، كقولك: رأيت زيدًا وفعلت خيرًا وما أشْبهها، ومنها ألف الصِّلة وهى ألفٌ تُوصَلُ بها فَتحةُ القافية، فمثله قَوله:

* بانَتْ سُعادُ وأمْسَى حَبْلُها انْقَطَعا *

وتسمى ألف الفاصلة، فوصل ألف العين بألف بعدها، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ الألف التى بعد النون الأخيرة هى صلة لفتحة النون، ولها أخوات فى فواصل الآيات كقوله عز وجل: ﴿قَوَارِيرَا﴾ و ﴿سَلَٰسِلَا﴾ وأما فتحة ها المؤنث فقولك: ضربتها ومررت بها، والفرق بين ألف الوصل وألف الصلة أن ألف الوصل إنما اجتلبت فى أوائل الأسماء والأفعال، وألف الصلة فى أواخر الأسماء كما ترى، ومنها ألف النون الخفيفة كقوله عز وجل: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ وكقوله عز وجل: ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّٰغِرِينَ﴾ الوقوف على «لنَسفعًا» وعلى «وليكونا» بالألف، وهذه الألف خَلَفٌ من النون، والنونُ الخفيفة أصلها الثقيلة إلا أنها خُفِّفت، من ذلك قول الأعشى:

* ولا تَحْمَدِ المُشْرِينَ واللهَ فاحْمَدَا *

أراد فاحْمَدَنْ، بالنون الخفيفة، فوقف على الألف، وقال آخر:

وقُمَيْرٍ بدا ابْنَ خَمْسٍ وعِشْرِى
نَ، فقالت له الفَتاتان: قُومَا

أراد: قُومَنْ فوقف بالألف، ومثله قوله:

* يحسبه الجاهلُ ما لم يَعْلَمَا *
* شَيْخًا، على كُرْسِيِّه، مُعَمَّمَا *

نصب «يَعْلم» لأنه أراد ما لم يَعْلَمَن بالنون الخفيفة، فوقف بالألف وقال أبو عكرمة الضبى فى قول امرئ القيس:

* ففا نَبْكِ من ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ *

قال: أراد فقِفَنْ، فأبدل الألف من النون الخفيفة كقوله قُومَا أراد قُومَنْ، قال أبو بكر: وكذلك قوله عز وجل: ﴿ألقيا فى جهنم﴾ أكثر الرواية أن الخطاب لمالك خازن جهنم وحده فبناه على ما وصفناه، وقيل: هو خطاب لمالك ومَلَكٍ معه، والله أعلم، ومنها ألف الجمع مثل مَساجد وجبال وفُرْسان وفَوَاعِل، ومنها التفضيل والتصغير كقوله: فلان أكْرَمُ منك وألأمُ منْكَ، وفلان أجْهَلُ الناسِ، ومنها ألف النِّداء كقولك: أزَيْدُ، تريد يا زَيْدُ، ومنها ألف النُّدبة كقولك: وازَيْداه! اعنى الألف التى بعد الدال، ويشاكلها ألف الاستنكار إذا قال رجل جاء أبو عمرو، فيُجيب المجيب أبو عَمْراه، زيدت الهاء على المدَّة فى الاستنكار، كما زيدت فى وافُلاناهْ فى الندبة، ومنها ألف التأنيث نحو مدَّة حَمْراء وبَيْضاء ونُفَساء، ومنها ألف سَكْرَى وحُبْلَى، ومنها ألف التَّعايى وهو أن يقول الرجل إن عُمر، ثم يُرتَجُ عليه كلامُه فيقف على عُمر ويقول إنَّ عُمرا، فيمدها مستمدًا لما يُفتح له من الكلام، فيقول: منْطَلِق، المعنى أنَّ عمر منطلق إذا لم يَتعايَ، ويفعلون ذلك فى الترخيم كما يقول يا عُما، وهو يريد يا عُمر، فيمدُّ فتحة الميم بالألف ليمتدَّ الصوت، ومنها ألف المدَّات، كقول العرب للكَلْكَل: الكَلْكال، ويقولون للخاتَم: خاتام وللدانَق دانـاق، قال أبو بكر: العرب تصل الفتحة بالألف، والضمة بالواو، والكسرة بالياء، فمن وَصْلهم الفتحة بالألف قولُ الراجز:

* قُلْتُ وقد خَرَّتْ على الكَلْكَالِ *
* يا ناقتى ما جُلْتِ عن مَجالِى *

أراد: على الكَلْكَل فَوَصَلَ فتحة الكاف بالألف، وقال آخر:

* لَهـا مَتْنَتَانِ خظَّاتا كـمـا *

أراد: خَظَّتا، ومن وصلهم الضمةَ بالواو ما أنشد الفراء:

* لَوْ أنَّ عَمْرًا هَمَّ أنْ يَرْقُودا *
* فانْهَضْ فَشُدَّ المِئزَرَ المَعْقُودا *

أراد: أن يَرْقُدَ، فوصل ضمة القاف بالواو، وأنشد أيضًا:

الله يَعْلَمُ أنَّا فى تَلَفُّتِنا،
يَوْمَ الفِراقِ، إلى إخْوانِنا صُورُ[1]
وأنَّنى حَيْثُما يَثْنِى الهَوَى بَصَرِى
مِنْ حَيْثُما سَلَكُوا، أدْنو فأنْظُورُ

أراد: فأنْظُرُ، وأنشد فى وَصل الكسرة بالياء:

* لا عَهْدَ لى بِبِيضالِ *
* أصْبَحْتُ كالشَّنِّ البالِى *

أراد: بِبِضال، وقال:

* عَلَى عَجَلٍ مِنِّى أُطَاطِئُ شِيمالِى *

أراد: شِمالِى، فوصل الكسرة بالياء، وقال عنترة:

* يَنْباعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ *

أراد: يَنْبَعُ، قال: وهذا قول أكثر أهل اللغة، وقال: بعضهم: يَنْباعُ يَنْفَعِل من باعَ يَبُوع، والأول يَفْعَلُ من نَبَعَ يَنْبَعُ، ومنها الألف المُحوَّلة، وهى كل ألف أصلها الياء والواو المتحركتان كقولك قال وباعَ وقَضى وغَزَا وما أشْبَهها، ومنها ألف التثنية كقولك الزَّيْدان والعَمْران، وقال أبو زيد: سمعتهم يقولون: أيا أباه أقبل، ورنه عَيا عَياه، وقال أبو بكر بن الأنبارى: ألف القطع فى أوائل الأسماء على وجهين: أحدهما: أن تكون فى أوائل الأسماء المنفردة، والوجه الآخر: أن تكون فى أوائل الجمع، فالتى فى أوائل الأسماء تعرفها بثباتها فى التصغير، بأن تمتحن الألف فلا تجدها فاء ولا عينًا ولا لامًا، وكذلك ﴿فحيُّوا بأحْسَنَ مِنْهَا﴾ والفرق بين ألف القطع وألف الوصل أن ألف الوصل فاء من الفعل، وألف القطع ليست فاء ولا عينًا ولا لامًا، وأما ألف القطع فى الجمع فمثل ألف ألوان وأزواج، وكذلك ألف الجمع فى السِّتة، وأما ألفات الوصل فى أوائل الأسماء فهى تسعة: ألف ابن وابنة

(١) قوله: «اخواننا» جاء فى صور: أحبابنا، وكذا هو فى المحكم.

واثنين واثنتين وامرئ وامرأة واسم واست فهذه ثمانية تكسر الألف في الابتداء، وتحذف في الوصل، والتاسعة الألف التي تدخل مع اللام للتعريف، وهي مفتوحة في الابتداء ساقطة في الوصل، كقولك الرحمن، القارعة، الحاقة، تسقط هذه الألفات في الوصل وتفتح في الابتداء، التهذيب: وتقول للرجل إذا ناديته: آفلان وأفلانْ آ يا فلان، بالمد، والعرب تزيد آ إذا أرادوا الوقوف على الحرف المنفرد، أنشد الكسائي:

* دَعَا فُلانٌ رَبَّه فَأَسْمَعَا[1] *
* بالخَيْرِ خَيْراتٍ، وإنْ شَرّاً فَآ *
* ولا أُرِيدُ الشَّرَّ إلاَّ أنْ تَآ *

قال: يريد إلا أن تشاء فجاء بالتاء وحدها وزاد عليها آ، وهي في لغة بني سعد، إلا أن تا يألف ليلة ويقولون ألا تا، يقول: ألا تَجِيء، فيقول الآخر: بَلَى فا أي فَاذْهَبْ بنا، وكذلك قوله: وإن شَرّاً فآ، يريد: إن شَرّاً فَشَرّ

الجوهري: آ حرف هجاء مقصورة موقوفة، فإن جعلتها اسمًا مددته، وهي تؤنث ما لم تسم حرفًا، فإذا صغرت آية قلت أُيَّة، وذلك إذا كانت صغيرة في الخط، وكذلك القول فيما أشبهها من الحروف.

قال ابن بري: صواب هذا القول إذا صغرت آء فيمن أنث قلت أُبَية على قول من يقول زَوَيْتُ زَايًا وذَيَّلْتُ ذَالاً، وأما على قول من يقول زَوَّيْتُ زَايًا فإنه يقول في تصغيرها أُوَيَّة، وكذلك تقول في الزاي زُوَيَّة.

قال الجوهري في آخر ترجمة أوا: آء حرف يمد ويقصر، فإذا مَدَدْتَ نوَّنت، وكذلك سائر حروف الهجاء، والألف ينادى بها القريب دون البعيد، تقول: أَزَيْدُ أَقْبِلْ، بألف مقصورة، والألف من حروف المدّ واللين، فاللينة تسمى الألف، والمتحركة تسمى الهمزة، وقد يتجوز فيها فيقال أيضًا ألف، وهما جميعًا من حروف الزيادات، وقد تكون الألف ضمير الاثنين في الأفعال نحو فَعَلا ويَفْعَلانِ، وعلامة التثنية في الأسماء، ودَليلَ الرفع، نحو زيدانِ ورجُلانِ، وحروف الزيادات عشرة يجمعها قولك: «اليوم تَنْساه» وإذا تحركت فهي همزة، وقد تزاد في الكلام للاستفهام، تقول: أَزَيْدٌ عندك أم عَمْرٌو؟ فإن اجتمعت همزتان فصلْتَ بينهما بألف، قال ذو الرمة:

أيا ظَبْيَةَ الوَعْساءِ بَيْنَ جُلاجِلٍ
وبَيْنَ النَّقا، آأَنْتِ أمْ أُمُّ سالِمِ؟

قال: والألف على ضربين، ألف وصل وألف قطع، فكل ما ثبت في الوصل فهو ألف القطع، وما لم يثبت فهو ألف الوصل، ولا تكون إلا زائدة، وألف القطع قد تكون زائدة مثل ألف الاستفهام، وقد تكون أصلية مثل أَخَذَ وأَمَرَ، والله أعلم.

[أبا] قال الشيخ أبو محمد بن بَرِّيٍّ، رحمه الله: الأَبَاءَةُ لأَجَمَةِ القَصَبِ، والجمعُ أباءٌ، قال وربما ذُكِر هذا الحرف في المعتلّ من الصِّحاح وإن الهمزة أصلها ياءٌ، قال: وليس ذلك بمذهب سيبَوَيْهِ بل يحملها على ظاهرها حتى يقومَ دليلٌ أنها من الواو أو من الياء نحو: الرِّداء لأنه من الرِّدْية، والكِساء لأنه من الكُسْوة، والله أعلم.

[أبب] الأَبُّ: الكَلأ، وعبَّر بعضُهم[1] عنه بأنه المَرْعَى، وقال الزجاج: الأَبُّ جَمِيعُ الكَلإ الذي تَعْتَلِفُه الماشية، وفي التنزيل العزيز: و ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ قال أبو حنيفة: سَمَّى الله تعالى المرعَى كُلَّه أَبًّا، قال الفرَّاءُ: الأَبُّ ما يأكُلُهُ الأَنعامُ، وقال مجاهد: الفاكِهةُ ما أكَلَه الناس، والأَبُّ ما أكَلَتِ الأَنْعامُ، فالأَبُّ من المَرْعى للدَّوابِّ كالفاكِهةِ للإنسان، وقال الشاعر:

جِدُّنا قَيْسٌ، ونَجْدٌ دارُنا
ولَنا الأَبُّ بِه والمَكْرَعُ

قال ثعلب: الأَبُّ كُلُّ ما أَخْرَجَتِ الأَرضُ من النَّبات، وقال عطاء: كُلُّ شيء يَنْبُتُ على وَجْهِ الأَرضِ فهو الأَبُّ، وفي حديث أنس: أَنَّ عُمر بن الخَطَّاب، ﷺ، قرأ قوله، عز وجل: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ وقال: فما الأَبُّ، ثم قال: ما كُلِّفْنا وما أُمِرْنا بهذا.

والأَبُّ: المَرْعَى المُتَهَيِّئُ للرَّعْي والقَطْع، ومنه حديث قُسّ بن ساعِدَةَ: فجعل يَرْتَعُ أَبًا وأَصِيدُ ضَبًا.

وأَبَّ للسير يَئِبُّ، ويؤُبُّ أَبًا وأَبِيبًا وأَبابةً: تَهَيَّأَ للذَّهاب وتَجَهَّزَ.

قال الأعشى:

(١) قوله: «ودعا فلان إلخ» كذا بالأصل، وجاء في معنى: دعا كلانا.

(١) قوله: «بعضهم» هو ابن دريد كما في المحكم.

مقدمة

يبدو أن القـرنين الثامن والتاسع الهجـريين كانا قرنين متـميزين عن غيـرهما من القرون؛ ذلك أن ثمـة تطورات سياسية مـهمة قد تركت آثارها على مـختلف نواحى الحياة. ففى القـرن الثامن الهجرى تنوعت مصادر المعرفـة ومراكزها فى الشام، التى أصبحت «مركزا عظيـما من مراكز الحركة الفكرية، فيهـا من المدارس العامرة ودور القرآن والحـديث العدد الكثير، عَـمِلَ على تعميرها حكامُـها، وبعض المياسـير من أهلها»[١]. كذلك شـهدت الجزائر فى هذا القرن «حركة تآليف واسعة النطاق، شملت مختلف أنواع العلوم المعروفة آنذاك، التى كـانت تدرَّس فى مساجد تلمسان والجزائر وبجاية وقسنطـينة وبونة، وغيرها من مدن وحواضـر البلاد. ومما يشـهد على اتساع هذه الحركة وازدهارها ما نجده فى كتب السير والفهارس من أسماء مصنفات جزائرية كثيرة صُنِّفت فى هذه الحقبة من التاريخ»[٢].

أما بلاد الأنـدلس فقد كـانت خاضـعة للمُـوَحِّدين، الذين انتـهى حكمـهم سنة (٦٢٠ هـ) تقريبا، بعد أن ورثوا دولة المـرابطين فى المغرب والأندلس. كانت دولة الموحـدين دولة قوية، ذات إسهـامات عديدة فى فـروع العلم والمعرفـة. ثم قامت (مملكة غَـرْناطة) بزعامـة ابن الأحمر، وقـد استـمرت ما يزيد على قـرنين ونصف القرن، منذ سنة ٦٣٥ هـ، حتى سقوط غَرْناطة سنة ٨٩٧ هـ[٣].

وعلى الرغم من قصـر الفترة التاريخـية التى استمرت فـيها مملكة غـرناطة حتى قُضى على المسلمـين ببلاد الأندلس فى نهاية القرن التـاسع الهجرى، إلا أن هذا لم

---

(١) السَّلامى: الوفيات: ١/ ١٨.

(٢) ابن قنفذ: الوفيات. ص ٥.

(٣) انظر: التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة. ص ٥١٥.

يمنع هذه الدولة من محاولة الاحتفاظ بما تبقى للأندلس من أرض، بعد المحن والكوارث والهزائم التى توالت على الدولة الإسلامية. وكانت رعاية هذه المملكة للعلم والعلماء واضحة للعَيان، وازدهرت الصناعة مثل صناعة السفن والورق والحلى، واعتنت الدولة بالزراعة، واهتمت بالعمران والمبانى والقصور والقناطر.

وشهد القرنان الثامن والتاسع فى الأندلس مولد كثير من العلماء والأدباء والشعراء، وكان عدد من ملوك بنى الأحمر هم من العلماء والأدباء، وبعضهم ألف كتبا، ورعوا العلم ورجاله ومعاهده ومواطنه[١]، فمن الشعراء: ابن زَمْرَك (٧٣٤ هـ ـ ٧٩٧ هـ)، وهو واحد من أكابر الشعراء بالأندلس، ولسان الدين بن الخطيب (٧١٣هـ ـ ٧٧٦هـ)، صاحب (الإحاطة فى أخبار غَرْناطة)، وهو شاعر ومؤرخ وأديب، وقد أورد فى كتابه هذا سير العظماء والنابهين من أهل مملكة غرناطة، ومن وفد عليها ومن سكنها. وقد عُرف بذى العمرين، لأنه أضاف بسهر الليل عمرا ثانيا إلى عمره[٢].

ومن أعلام القرن الثامن الهجرى فى بلاد المغرب: ابن خلدون، (٧٣٢هـ ـ ٨٠٨ هـ)، وهو مؤسس علم الاجتماع. وهو صاحب كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر، فى أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر). ومن فقهاء القرن التاسع: أبو العباس أحمد بن يحيى التِّلِمْسَانى (٨٣٤هـ ـ ٩١٤هـ)، وهو أحد فقهاء المغرب، وقد ألف كتابا بعنوان (أسنى المتاجر فى بيان أحكام من غَلَب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر)؛ دعا فيه إلى حث (المُدَجَّنين) ـ وهم المسلمون الذين رضوا بالبقاء تحت السلطة النصرانية فى المدن الأندلسية الذاهبة ـ على الهجرة إلى أراضى المسلمين[٣].

---

(١) السابق. ص ٥٦٢.

(٢) انظر: القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامى الدانية. ص ٢٤٩.

(٣) انظر: التاريخ الأندلسى. ص ٥٣١.

وما دمنا نتحدث عن القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وما شهده هذان القرنان من أحداث مهمة، فلابد من الإشارة إلى (العصر المملوكى)، الذى يبدأ بسقوط بغداد على أيدى التتار سنة ٦٥٦هـ، وينتهى سنة ٩٢٣هـ، بسقوط دولة المماليك. وقد ظهرت فى هذا العصر العناية بالعلوم الإنسانية، وتبدى ذلك فى الاهتمام بالتاريخ، والمعجمات، والموسوعات مثل: (نهاية الأرب فى فنون الأدب)، للنويرى، (ت ٧٣٣هـ)، و (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار)، لابن فضل الله العُمَرى، (ت ٧٤٨هـ)، و(صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء)، للقلقشندى (ت ٨٢١هـ). كما كانت هناك رعاية للعلوم الإسلامية، مثل: الفقه والتصوف. وواكب ذلك وَهَنٌ وانحطاط فى المجالات العلمية، مثل: الطبيعة والكيمياء. واتسم الأدب فى هذا العصر بالضعف وبالميل إلى الأغراض التقليدية، من وصف ومدح.

وقد أدى سقوط بغداد، والقضاء على مظاهر الحضارة بها إلى هجرة كثير من العلماء من بغداد إلى موطن الخلافة (مصر). لقى هؤلاء العلماء الرعاية اللائقة بهم فى مصر، وأحسوا بالأمان، وأغدق عليهم السلاطين من الأموال والعطايا الكثير، وشجع الحكامُ العلمَ والعلَماءَ، حتى أصبحت (القاهرة) مركزا للثقافة والعلوم.

وشهد القرنان الثامن والتاسع بناء العديد من المدارس التى أدَّت دورا مهما فى نشر العلم والثقافة، فضلا عما تمثله من إضافة مهمة فى مجال العمارة. ومن هذه المدارس: (المدرسة الناصرية)، التى اكتمل بناؤها سنة ٧٠٣هـ، و (مدرسة السلطان حسن)، التى بدئ فى بنائها فى منتصف القرن الثامن الهجرى، و (المدرسة الظاهرية)، التى اكتمل بناؤها سنة ٧٨٨هـ، و (المدرسة المحمودية)، التى أنشئت سنة ٧٩٧هـ. وفى بداية القرن الثامن الهجرى (سنة ٧٠٢هـ) أدى زلزال قوى إلى انهيار الجامع الأزهر بمصر، فقام أحد الأمراء المماليك ببنائه، وإعادته إلى هيئته الأولى.

وظهر فى تلك الفترة عدد من الشعراء والأدباء، منهم: (ابن نُباتة المصرى) (ت ٧٦٨هـ). وهناك أيضا (صفى الدين الحلِّى (ت ٧٥٠هـ)، و (ابن حجة الحموى)، (ت ٨٣٧هـ)، و (صلاح الدين الصفدى) (ت ٧٦٤هـ) صاحب (الوافى بالوفيات) و (ابن الوردى) (ت ٧٤٩هـ) صاحب (شرح التحفة الوردية)، وهو أديب وشاعر ونحوى. وكان من علماء الدين: (ابن تيمية) (ت ٧٢٨ هـ)، ومن النحاة: (ابن هشام الأنصارى) (ت ٧٦١هـ)، و(ابن عقيل) (ت ٧٦٩هـ). وممن ألفوا فى علم الحيوان: (كمال الدين الدميرى) (ت ٨٠٨هـ)، ومن كتَّاب الرحلات: (ابن بطوطة) (ت ٧٧٩هـ)، صاحب (تحفة النظَّار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ومن المؤرخين: (المقريزى) (ت ٨٤٥هـ)، صاحب كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك).

ويهدف هذا البحث إلى تتبع حركة التأليف المعجمى، فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين، ورصد أنماطها وصورها، بهدف الوقوف على طبيعة اتجاهات هذه الحركة ومحاورها وتصنيفاتها، ويستند هذا البحث فى ذلك إلى الوصف والتحليل.

وقد توسع البحث فى مفهوم (التأليف المعجمى)، فلم يقصره على المعاجم اللغوية المألوفة، مثل: (لسان العرب)، بل شمل أيضا تلك المصنفات التى اتخذت من الترتيب المعجمى أساسا لعملها، ومنهجا فى نظامها.

وقد كَسَرتُ هذه الدراسة على تمهيد ومقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

ففى التمهيد بيان لأقسام المعاجم العربية، ونظمها المختلفة، وموقع التأليف المعجمى عند العرب، قياسا على الإسهامات الإنسانية المتصلة بالأعمال المعجمية.

وفى المقدمة حديث عن الظروف السياسية والفكرية والثقافية فى القرنين الثامن والتاسع، وأثرها فى حركة التأليف بصورة عامة، وفى التأليف المعجمى بشكل خاص.

أما المباحث الثلاثة فتجيء على النحو التالى:

المبحث الأول: المعاجم اللغوية.

وتنقسم إلى ما يلى:

(أ) المعاجم اللغوية العامة.

(ب) المختصرات وكتب التصحيح والنقد المعجمى.

(ج) المعاجم اللغوية الخاصة.

(د) معاجم المصطلحات.

المبحث الثانى: المعاجم القرآنية.

وتنقسم قسمين:

أولهما: معاجم غريب القرآن والحديث.

وثانيهما: معاجم المعرب فى القرآن.

المبحث الثالث: معاجم التراجم.

وتنقسم إلى ما يلى:

أولا: معاجم التراجم العامة.

وتشمل ما يلى:

(أ) معاجم مرتبة على الأسماء والألقاب والأنساب.

(ب) معاجم مرتبة على القرون والأقاليم.

ثانيا: معاجم التراجم الخاصة.

وتشمل ما يلى:

(أ) معاجم تراجم الفقهاء والقراء والمفسرين والحفاظ.

(ب) معاجم تراجم النحاة واللغويين.

(ج) معاجم تراجم الفئات الخاصة.

أما الخاتمة ففيها تلخيص لأهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة.

المبحث الأول:

المعاجم اللغوية

تميز القرنان الثامن والتاسع الهجريان بوجود العديد من المعجمات اللغوية العامة وكتب المختصرات والتصحيح والنقد المعجمى، إضافة إلى المعجمات اللغوية الخاصة ومعاجم المصطلحات.

أولا: المعاجم اللغوية العامة:

ويقصد بها تلك المعاجم التى تعالج اللفظة، فتُعنى بضبطها، وتشرح مدلولها، وتبيِّن أصلها ومشتقاتها، ويطلق عليها: (معاجم الألفاظ). وقد يتبع بعض هذه المعاجم الطريقة الألفبائية القائمة على أساس الترتيب الهجائى حسب أوائل الأصول، مثل: **(المصباح المنير)**، ويقوم ترتيب الألفاظ فى بعضها الآخر حسب أواخر الأصول، مثل: **(القاموس المحيط)**.

ويشهد القرنان الثامن والتاسع ثلاثة معجمات مهمة:

وأول هذه المعجمات:

(لسان العرب)، لابن منظور[1]، المتوفى (٧١١هـ)، ويكاد يكون هذا المعجم أضخم المعجمات العربية وأشملها. وكان الحافز إلى وضعه: حب ابن منظور للغة العربية وشغفه بها، فدفعه هذا إلى استدراك ما فات الأقدمين؛ إذ إنه اطلع على كتبهم ومؤلفاتهم اللغوية، ووجد أن العلماء كانوا - كما يقول شيئا: بين رجلين: أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يُجِدْ جمعه،

---

(١) كان محدثًا فقيهًا، عارفا باللغة العربية والنحو والتاريخ. خدم فى ديوان الإنشاء بالقاهرة، وَوَلِىَ قضاء طرابلس.

فلم يُفد حُسْنُ الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعَتْ إجادة الوضع مع رداءة الجمع[١].

وقد اعتمد ابن منظور في جمع المادة اللغوية على عدة مصادر، هي:

١- **(تهذيب اللغة)**، للأزهري، و **(الصحاح)**، للجوهري، و **(المحكم والمحيط الأعظم)**، لابن سيده، و **(حواشي الصحاح)**، لابن بَرِّي، و **(النهاية في غريب الحديث والأثر)**، لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ).

وقد جمع صاحب (لسان العرب) ما تفرق في تلك الكتب، وعمل على سَدِّ الثُّلْمة، ومعالجة الخلل الواقع في هذه المعاجم، وإكمال ما فات أصحابها. ورتَّب معجمه كما رتب الجوهري (الصحاح)، فصار معجمه موسوعة لغوية شاملة.

ويتسم (لسان العرب) بما يلي:

١- تجريد الكلمة من الزوائد، وجعل الحرف الأخير للباب، ونظيره الأول للفصل.

٢- إيراد الكثير من لغات القبائل، والنوادر، والأمثال، والتراجم، والأخبار.

٣- العناية بضبط الألفاظ ضبطًا صحيحًا، ويكون إما بذكر علامات الضبط صراحة، فيقول مثلا: بالفتح، أو بالضم... وإما بإيراد الميزان الصرفي للكلمة.

٤- إيراد الكثير من الشواهد القرآنية والحديثية.

٥- عزو الشواهد الشعرية إلى قائليها، إلا فيما ندر.

٦- الالتزام بما أورده السابقون في المصادر التي اعتمد عليها، وعدم مجاوزة النص، والأمانة في النقل.

٧- التوسع والإسهاب في إيراد المعاني المختلفة للمادة الواحدة.

٨- الاهتمام بالقواعد النحوية والصرفية.

---

(١) مقدمة لسان العرب، ص ١١.

وثمة مآخذ لم يستطع ابن منظور أن يتجنبها فى معجمه، تتمثل فيما يلى:

١ - التكرار، ولعل ذلك مرده إلى النقل عن كتب السابقين، مع ما يكون فيها من تباين واختلاف فى بعض الأحيان.

٢- **نسبة الشواهد إلى غير أصحابها، أحيانًا**، ومن ذلك البيت الذى أورده منسوبًا لزهير بن أبى سلمى، وهو:

وَوَطِئْتَنا وَطْئًا عَلَى حَنَقٍ ... وَطْءَ المُقَيَّدِ يابِسَ الهَرِمِ[1]

إذ لم يرد البيت فى ديوان (زهير)، والثابت أنه للحارث بن وَعْلَة.

٣- **الخطأ فى ضبط بعض الألفاظ**، ومنه ما جاء فى بيت أبى دُواد:

* عَبَقَ الكِبَاءُ[2] ..... *

والصواب: عَبِقَ، بكسر الباء.

٤- **عدم الدقة فى تحديد الدلالة**، أو تفسير كلمة بأخرى تحتاج إلى تفسير، أو تفسير اللفظ بدلالة عامة تصلح له ولغيره من الألفاظ. ويتضح ذلك فيا يلى:

- (القَنْفَخُ: ضربٌ من النبت). اللسان: قنفخ.

- (القُمْعُوطَة والمُقْعُوطَة، كلتاهما: دُوَيبَّة ماءٍ). اللسان: قمعط.

- (الهَبْء: حيٌّ). اللسان: هبأ.

- (الهُرْنُوغ: شِبْهُ الطُّرْثُوثِ يُؤْكل): اللسان: هرنغ.

فنبحث عن (الطرثوث) فيه، فنجد أنه (نبت يؤكل، وفى المحكم: نبت رملى طويل مُسْتَدِقٌ كالفُطْر، يضرب إلى الحُمْرة ويَيْبَس ... واحدته طُرْثُوثَة). ثم يورد ابن منظور نقلا عن آخرين: أنه (ضربان: فمنه حُلْوٌ، وهو الأحمر، ومنه مُرٌّ، وهو

(١) انظر: لسان العرب: مادة: هرم، وتحقيقات وتنبيهات فى معجم لسان العرب. ص ٢٩٧.

(٢) انظر: لسان العرب: مادة: جمد. و(الكباء): عود البَخُور، والجمع: كُبًا.

الأبيض . . . الطرائيث تتخذ للأدوية، ولا يأكلها إلا الجائع، لمرارتها). اللسان: طرث.

(الطَّرخون: بَقْلٌ طيِّب يُطبخ باللحم). اللسان: طرخن.

٥- **إيراد الكثير من الألفاظ الأعجمية دون تأصيل**، ومثال ذلك كلمة (الإصطبل)، إذ يورد اللسان اللفظ موضحًا معناه، مكتفيًا بذكر أنه (ليس من كلام العرب). والثابت أن (الإصطبل) كلمة مأخوذة من اللاتينية Stabulum، بمعنى مأوى الخيل والدواب[١].

٦- **عدم الالتزام بطريقة واحدة فى ترتيب المادة اللغوية**، إذ إنه يبدأ فى كثير من الأحيان بالاسم أولا، وقد يخالف ذلك بالبدء بالفعل فى بعض الأحيان، كما فى مادة: (أبخ)، إذ بدأت كما يلى: (أبَّخه: لامه وعذله).

٧- **صعوبة عثور الباحث على مبتغاه بسهولة ويسر**، وذلك نتيجة اتساع المادة الواحدة، وتشعب الآراء، وكثرة الاستشهاد، وغزارة النقل عن الآخرين[٢].

أما المعجم الثانى الذى شهدته فترة الدراسة، فهو:

(المصباح المنير)، للفيومى[٣] المتوفى (٧٧٠هـ).

وقد اعتمد الفيومى فى وضع معجمه على عدة مصادر من أمهات الكتب، مثل **(إصلاح المنطق)**، لابن السكيت، (ت ٢٤٤هـ)، و **(تهذيب اللغة)**، للأزهرى، و **(الصحاح)**، للجوهرى، و **(أساس البلاغة)** للزمخشرى.

و **(المصباح المنير)** كان عنوانه الأصلى: **(المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير)**، إذ كان الإمام (أبو حامد الغزالى)، المتوفى سنة (٥٠٥هـ)؛ قد ألَّف كتابًا

---

(١) انظر تفسير الألفاظ الدخيلة. ص٣، وغرائب اللغة العربية. ص ٢٧٧.

(٢) انظر المعاجم العربية المجنسة. ص ١٥٥.

(٣) نسبة إلى فيوم العراق، لا إلى فيوم مصر.

فى فروع الشافعية، سماه (الوجيز)، وقام عبد الكريم الرافعى، المتوفى سنة (٦٢٣هـ) بشرح كتاب الغزالى، وسماه: (فتح العزيز فى شرح الوجيز)، ثم جاء الفيومى فدرس كتاب (فتح العزيز)، ووجد أنه بحاجة إلى شرح، فشرحه، ثم اختصره فى (المصباح المنير).

قسَّم الفيومى معجمه إلى أبواب، وكل باب سماه كتابًا، فبدأ المعجم بكتاب الألف، فكتاب الباء... ورُتِّب باعتبار الأصول، بدءًا بالحرف الأول من الكلمة، بعد تجريدها من الزوائد.

ويتسم هذا المعجم بما يلى:

١- الإكثار من الشواهد القرآنية والحديثية.

٢- وفرة الشواهد الشعرية، والاهتمام بنسبتها إلى أصحابها.

٣- العناية بالمصطلحات الفقهية.

٤- كثرة المسائل النحوية والصرفية، والاهتمام بالقضايا اللغوية.

٥- التأكيد على ضبط الكلمة بعبارة صريحة، فيقول مثلا: (بالفتح). (بالتشديد)...

٦- الحرص على ذكر باب الفعل؛ فيقول مثلا: (عَزَبَ الشيءُ عُزوبا من باب قَعَدَ: بَعُد. وعَزَبَ، من بابى قَتَلَ وضَرَبَ: غابَ وخفى، فهو عازب) [1].

ويؤخذ على المعجم الاختصار الشديد الذى قد ينجر عنه خلل فى فهم الدلالات، مما يؤدى إلى عدم فهم المعنى فهمًا كاملا.

---

(١) المصباح المنير: عزب.

وثالث هذه المعجمات العامة هو:

(القاموس المحيط) [١]، للفيروزأبادى، المتوفى (٨١٧هـ).

ويتسم هذا المعجم بغزارة المواد واتساع الاستقصاء، ويجيء فى ستين ألف مادة. وقد ضمَّنه صاحبه خلاصة ما فى (المحكم والمحيط الأعظم)، لابن سيده، و (العُباب الزاخر واللباب الفاخر)، للصاغانى، المتوفى سنة (٦٥٠هـ)، وأضاف إليه زياداتٍ من مصنفات كثيرة، وسماه (القاموس المحيط)؛ لأنه البحر الأعظم.

وقد رتب الفيروزأبادى (قاموسه) كما رتب الجوهرى (الصحاح)؛ إذا قسَّمه إلى ثمانية وعشرين بابا، باعتبار الحرف الأخير من الكلمة المجردة، ثم قسَّم كل باب إلى فصول تبعًا للحرف الأول، وكان (باب الهمزة) أول الأبواب، و (باب الألف اللينة) آخرها.

ويتسم (القاموس المحيط) بما يلى:

١- تمييز المواد التى زادها (الفيروزأبادى) على (الجوهرى) بالحُمْرة.

٢- العناية بضبط المادة بذكر العبارة الدالة على الضبط، فيقول مثلا: (العُسْر، بالضم وبضمتين وبالتحريك: ضد اليُسْر)[٢].

٣- الإشارة إلى المؤنث بعد المذكر بقوله: وهى بهاء.

٤- استخدام حروف معينة للإشارة إلى الألفاظ المكررة، وذلك من باب الاختصار والاختزال، مثل: م: معروف، ع: موضع، ة: قرية، د: بلد، ج: جمع.

---

(١) ثمة شروح عديدة على (القاموس المحيط)، أهمها: (تاج العروس)، للزَّبيدى، المتوفى (١٢٠٥هـ). ومن الكتب التى تتبعت سقطات (القاموس المحيط) ؛ (الجاسوس على القاموس)، لأحمد فارس الشدياق (ت ١٣٠٤هـ - ١٨٨٧م).

(٢) القاموس المحيط: عسر.

ومما يؤخذ على القاموس المحيط:

١- اهتمامه الزائد بأسماء البلاد والبقاع والأماكن والأعلام، الذى قد يطغى - أحيانا - على اهتمامه بالناحية اللغوية.

٢- القصور فى تعريف الأعلام، على كثرتها؛ إذ قد يكتفى بذكر العَلَم دون ما يتصل به من معلومات، مثل: العصر الذى عاش فيه. ميلاده. وفاته ... ومن ذلك قوله: (وقَيْسُ بن العَيْزَارَة: وهى أُمُّه: شاعر)[١].

٣- عدم العناية بذكر الشواهد الشعرية.

٤- عدم الالتزام بطريقة واحدة فى إيراد المادة اللغوية؛ فقد يبدأ بالاسم أحيانًا، كما قد يبدأ بالفعل.

ثانيا: المختصرات وكتب التصحيح والنقد المعجمى:

ثمة معجمات عديدة وشروح كثيرة قامت على معجمات سابقة عليها؛ إذْ رأى البعض أن هناك معاجم قديمة نالت شهرة كبيرة وكانت إضافة عظيمة للتراث المعجمى، إلا أنها - فى نظر أصحاب الشروح والاختصارات - كانت زاخرة بالأخطاء، حافلة بالأوهام، مملوءة بالتصحيفات والتحريفات، مكثرة مما يمكن الاستغناء عنه، ويعد (**مختار الصحاح**)، للرازى[٢]، واحدًا من أهم هذه

---

(١) السابق: عزر.

(٢) ورد فى آخر (**مختار الصحاح**) أنه تم الفراغ منه سنة (٧٦٠هـ)، واستند إلى هذا د. حسين نصار فى كتابه القيم (المعجم العربى: نشأته وتطوره): ٢/ ٣٩٧، وجاء فى (**المعاجم العربية المجنسة**) للدكتور/ محمد عبد الحفيظ العريان، ص١٣٩، أن (الرازى) توفى فى حدود سنة ٧٨٠هـ، أو بعد سنة ٦٩١هـ. وذكر وجدى رزق غالى فى (**معجم المعجمات العربية**) ص٢٦٥، أنه توفى سنة (٦٦٦هـ). أما الزركلى فى (**الأعلام**): ٦/ ٥٥، فقد أوضح أن الرازى توفى بعد سنة (٦٦٦هـ)، وأورد أن (عبد الله مخلص) له رسالة سماها: (**صاحب مختار الصحاح**)، حقق فيها القول بأنه توفى سنة (٧٦١هـ)، أوأنه كان من رجال القرن الثامن.

المختصرات فى الفترة الزمنية التى تعالجها هذه الدراسة، وهو أكثر المختصرات على (الصحاح)، للجوهرى، دقة. وقد جعله (الرازى) اختصاراً للصحاح، لأنه ـ فى رأيه ـ «أحسن أصول اللغة ترتيبًا، وأوفرها تهذيبًا، وأسهلها تناولا، وأكثرها تداولا»[١]. ويبيِّن المؤلف منهجه، حيث يقول: لقد "اقتصرت فيه على ما لابد لكل عالم فقيه، أو حافظ، أو محدِّث، أو أديب من معرفته وحفظه: لكثرة استعماله وجَرَيَانه على الألسن . . . واجتنبت فيه عويص اللغة وغريبها طلبًا للاختصار وتسهيلا للحفظ. وضممت إليه فوائد كثيرة من تهذيب الأزهرى وغيره من أصول اللغة الموثوق بها، ومما فتح الله تعالى به علىّ، فكل موضع مكتوب فيه (قلتُ) فإنه من الفوائد التى زدتها على الأصل»[٢].

سار (الرازى) على درب (الجوهرى) فى ترتيب الكلمات باعتبار أواخرها، إلا أن (وزارة المعارف) المصرية إدراكًا منها أن (مختار الصحاح) لا يخلو بهذه الطريقة من الصعوبة فى بلوغ المراد منه، فقد استقر رأيها على إعادة طبعه باعتبار الحرف الأول فالثانى، على طريقة ترتيب (المصباح المنير)، للفيومى، "وأن تُرد إلى كل مادة مشتقاتها التى يصعب على الطالب ردها إليها، مع حذف ما لا ينبغى أن يطرق مسامع النشء، بشرط المحافظة على أصل الكتاب»[٣]، وقام بتصحيحه وضبطه الشيخ حمزة فتح الله.

وقد عُنى الرازى بالأوزان الثلاثية، فأورد "كل ما أهمله الجوهرى من أوزان مصادر الأفعال الثلاثية التى ذكر أفعالها، ومن أوزان الأفعال الثلاثية التى ذكر مصادرها»[٤]، وكان ذلك إما ببيان الحركات، وإما برد الوزن إلى واحد من الموازين التى ذكرها. وما لم يجده فى كتب اللغة الموثوق بها فإنه يهمل ضبطه، مقتفيًا أثر الجوهرى فى ذكره مهملا.

---

(١) مقدمة (مختار الصحاح)، ص (هـ).
(٢) السابق، ص (هـ).
(٣) السابق، ص (د).
(٤) السابق، ص (هـ).

ويتسم (مختار الصحاح) بالإيجاز والاختصار، وحذف ما لا ينبغى ذكره، مما يسهِّل على طلاب العلم الوصول إلى مبتغاهم بسهولة ويسر. ويهتم كثيرًا بضبط الكلمات، وتجنب غوامض الكلم، تحقيقًا للهدف الذى كان من ورائه، وتثبيتًا للغاية التى كان السعى إليها.

ومن المختصرات وكتب التصحيح المعجمى (الراموز على الصحاح)، لمحمد ابن السيد حسن، المتوفى (٨٦٦هـ)[١]، الذى تناول معجم (الصحاح)، للجوهرى، بالتهذيب والتصحيح والتنظيم والإضافة، كما استدرك عليه بدقة وموضوعية واختصار، مما جعل من كتابة (الراموز) معجمًا لغويًا فقهيا، شكلا ومضمونًا.

يستخدم صاحب (الراموز) الرموز والحروف للاختصار، فيشير إلى القرآن بالحرف (ق)، وإلى الحديث بالحرف (ح)، وإلى الأثر بالحرف (ر)، وإلى الجمع بالحرف (ج)... ويختصر أسماء اللغويين، ويحذف الشواهد الشعرية التى أوردها (الجوهرى)، ويناقش المسائل والقضايا النحوية واللغوية التى جاءت فى ثنايا (الصحاح)، ويدرس مصطلحات العلوم المختلفة: الفقهية، والعروضية، والنحوية. ويهتم صاحب (الراموز) بضبط الكلمة؛ خشية أن يفسدها النسَّاخون، وخوفًا من التصحيف والتحريف. وعلى الرغم من أن منهج (الراموز) كان قائمًا على الاختصار، فإنه أكثرَ من ذِكْرِ الشواهد القرآنية والحديثية والشعرية، وأسهب فى مناقشة القضايا الفقهية.

ومن كتب النقد المعجمى أيضًا: (نفوذ السهم فيما وقع للجوهرى من الوهم)، للصفدى، المتوفى (٧٦٤هـ)، وهو يتعقب فى كتابه هذا الجوهرى فى "الأوهام الصرفية، والاشتقاقية، والتصحيف، وسوء التعبير، والخطأ فى التفسير... ونهج الصفدى... على إيراد عبارة الصحاح بنصها، أو يجمع بعض عبارات متفرقة، ثم يرد عليها»[٢]. وللمؤلف ذاته كتاب (حلى النواهد على ما فى الصحاح من الشواهد). وقد درس فيه شواهد (الصحاح)، وشرحها، وقام بنسبتها إلى أصحابها.

---

(١) انظر: الراموز على الصحاح. دراسة معجمية. (٢) المعجم العربى: نشأته وتطوره: ٢/ ٤١٤.

ويضاف إلى هذا ما قام به البعض من اختصار لبعض المعجمات، ومن ذلك:

(مختصر صحاح الجوهرى)، وصاحبه: أبو عبد الله محمد بن حسن، المعروف بابن الصائغ، (ت ٧٢٠هـ). وممن اختصر (القاموس المحيط): إبراهيم بن محمد الحلبى)، (ت ٩٠٠هـ)، فى كتابه (البرهان).

ثالثًا: المعجمات اللغوية الخاصة:

نعنى بالمعجمات اللغوية الخاصة تلك المعجمات التى ينفرد كل منها بمعالجة أنواع معينة من الألفاظ، أو مجالات محددة منها. فهو ليس معجمًا عاما يبحث فى دلالة اللفظ، ولكنه معجم محدد يتناول ألفاظًا يجمع بينها سمات خاصة، أو يدرس ألفاظًا قد لا يكون ثمة رابطة بينها، ولكنها تشترك فى أنها جميعها مصطلحات لعلوم مختلفة.

وتنقسم المعجمات اللغوية الخاصة إلى ثلاثة أنواع:

١ - **المثلثات:** ويقصد بالمثلثات - فى إطار هذا النوع من المعجمات - ما اتحد لفظه ومعناه واختلف شكله، مثل: (السَّم، والسُّم، والسِّم: هو المُهلك القاتل)، ومثل: (الطَّب، والطُّب، والطِّب - مثلثة - علاج الجسم والنفس)، ومثل: (بَغاث، وبِغاث، وبُغاث: لِمَا يُصَاد من الطير ولا يَصيد.

وثمة نوع آخر من المثلثات، وهو ما اتحد لفظه، واختلف معناه باختلاف شكله، مثل: (الجَدُّ: القطع والجَد أبو الأب وأبو الأم... والجَدُّ: الحَظُّ والسَّعد ... والجِدُّ بالكسر: الانكماش فى الأمر. والجِدُّ: نقيض الهَزْل ... والجُدُّ بالضم أيضًا: الرجل العظيم ... والجُدُّ بالضم أيضًا: البئر تكون بين الكلأة[1].

ويمثل هذه النوعية من المعجمات - فى هذه الفترة - كتابان، هما:

---

(١) المثلث لابن السيد البطليوسى: ١/ ٣٩٧.

(المثلث ذو المعنى الواحد)، ومؤلفه هو شمس الدين البعلى الحنبلى المتوفى فى بداية القرن الثامن الهجرى (٧٠٩هـ).

أورد البعلى فى هذا الكتاب ما يزيد على ثلثمائة كلمة مما يُنطق بثلاث حركات: (الفتحة والضمة والكسرة)، وكلها بمعنى واحد، أى الألفاظ المثلثة المتفقة المعنى، وقد جمع المؤلف هذه الألفاظ من مثلثات ابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، ومن كتب غيره، وزاد عليها ألفاظا عديدة. ويعد هذا الكتاب أول مؤلَّف فى الكلمات المثلثة المتفقة فى المعنى. وقد رأى البعلى أن "ما كتبه شيخه ابن مالك فى كتاب (الإعلام بتثليث الكلام) لم يكن شاملا للألفاظ المثلثة المتفقة المعنى فى العربية، ولذلك أقدم على جمع ما كتبه ابن مالك، واستدرك عليه أشياء أخرى من كتب غيره"[1].

رتب البعلى كتابه على حروف المعجم، وبيَّن أن ما كان من كتاب ابن مالك فهو غير معزو، وما كان من كتاب غيره فهو معزو إلى قائله. وقسَّم كتابه إلى أربعة فصول:

الأول: (فيما ثُلِّثَ أوَّلُه)؛ مثل: (البصرة: الحجارة الرخوة، ومدينة بالعراق)، ومثل: (الدواء: مثلث الدال ممدود: ما يتداوى به عن ابن سيده).

والثانى: (فيما ثُلِّثَ عينُهُ من الأسماء)، مثل: (أربعاء: مثلث الباء، عن ابن سيده وغيره)، ومثل: (المأربة: الحاجة).

والثالث: (فيما ثُلِّثَ عينُهُ من الأفعال)، مثل (طهر الرجل من الذنوب، والمرأة من الحيض)، ومثل (فسد الشيء فهو فاسد وفسيد).

والرابع: (فيما ثُلِّثَ أوَّلُهُ وثالثه): مثل (التفل: الثعلب. وقيل: جروه، مثلث الأول والثالث، عن ابن سيده)، ومثل: (الطَّنفسة[2]، مثلث الطاء والفاء، والأفصح كسر الطاء. وفتح الفاء عن ابن سيده).

---

(١) السابق، ص (هـ).

(٢) الطَّنفسة: الوسادة التى فوق الرَّحْل، (وهو ما يكون على ظهر البعير للركوب). والطَّنفسة: البساط.

ويتسم الكتاب ـ الذى يضم حوالى ثلثمائة وأربع وثلاثين كلمة ـ بالإيجاز والاختصار، ويتعرض لبعض الإشارات والمسائل النحوية والصرفية وقضايا اللهجات، ويتميز بغزارة المادة. ويلاحظ أن المؤلف لم ينسب اللهجات العربية الكثيرة التى وردت فى الكتاب إلى قبائلها، ولعله أحجم عن هذا رغبةً فى الاختصار وعدم الإطالة. ومما يدل على قيمة الكتاب ومكانته أن (الفيروزأبادى) جعله واحداً من مصادره فى كتابه (**الدرر المبثثة فى الغُرر المثلثة**).

أما الكتاب الثانى فقد توفى صاحبه فى بدايات القرن التاسع الهجرى، وهو (**الدُّرَر المبثثة فى الغُرر المثلثة**)، للفيروزأبادى، (ت ٨١٧هـ). جمع المؤلف فى هذا الكتاب ما وجده فى مثلثات قطرب، (ت ٢٠٦هـ) ـ وهو أول ما ألف فى المثلثات ـ ومثلثات أبى عبد الله بن جعفر القيروانى المعروف بالقزاز، (ت ٤١٢هـ)، ومثلثات ابن السِّيد البَطَلْيَوسى، (ت ٥٢١هـ)، **ومثلثات ابن عُديس**، (ت ٥٧٠هـ)، **ومثلثات ابن مالك**، (ت ٦٧٢هـ)، **ومثلثات أبى عبد الله الحنبلى**، (ت ٧٠٩هـ)، وغيرهم.

رتب المؤلف كتابه على الحروف الهجائية، وجعله على أبواب، وكان (باب الهمزة) أول الأبواب، يليه (باب الباء) إلى (باب الهاء)، وهو آخر الأبواب. ولم يورد فى (باب الظاء) ألفاظًا، إذ قال: "وأما حرف الظاء، فإنى أجلتُ النظر فى الكلام مستقصيًا، فلم أظفر بشىء من المثلث المتفق المعنى الذى أوله الظاء"[(١)]، كذلك لم يرد عنده (باب الياء). ولا يكتفى الفيروزأبادى بذكر ثلاثة أشكال للفظ الواحد؛ إذ قد يورد للكلمة الواحدة أكثر من ثلاثة أشكال، مثل: (الرَّعْوُ، والرُّعْوُ، والرِّعْوُ، والرَّعْوة، والرُّعوة، والرُّعْوة، والرَّعْوى، والرُّعْوى، والرُّعوى، والإرْعِواء، والرُّعْيَا: النزوع عن الجهل)[(٢)].

---

(١) الدرر المبثثة فى الغرر المثلثة. ص ٩٢.

(٢) السابق. ص ٧٣.

٢- ما يجيء بالسين والشين.

ويمثل هذه النوعية من المعجمات كتاب واحد، هو (**تحبير المُوشِين فى التعبير بالسين والشين**)، للفيروزأبادى. وكان الدافع إلى تأليف هذا الكتاب أن الفيروزأبادى قرأ على بعض مشيخته حديثًا جاء فيه ذكر (التسميت)[١]، فنطق الكلمة بالسين والشين، فسأله المستمع عن نظائرها فى كلام العرب ... فدفعه هذا إلى جمع الألفاظ التى تقال بالسين والشين، وسمَّاه (**تحبير الموشين فى التعبير بالسين والشين**). وقد عنونه بهذا العنوان لأجل السلطان إسماعيل بن العباس، إذ رأى المؤلف لاسمه الشريف مدخلا فى كتابه "هذا من وجهين:

أحدهما: اشتمال اللقب الشريف بالسين.

واشتمال الاسم الشريف قبل التعريب بالعبرانية "إشمويل"، فعربته العرب، وقالت: إسماعيل، فساغ من هذا الوجه فيه: السين والشين"[٢].

رتب الفيروزأبادى كتابه على حروف المعجم، فبدأ بالألف، والباء، إلى الياء، إلا أن هناك حروفًا خلت عنده من ألفاظ، وهى: (الثاء)، و(الذال)، و(الزاى)، و(الصاد)، و(الضاد)، و(الظاء)، و(اللام).

ومما أورده مما يجيء بالسين والشين: "الرَّعْسُ، والرَّعْشُ: الارتعاش... (و) الإرعَاس، والإرعَاش، والارتعاس، والارتعاش: بمعنى واحد"[٣]. وكذلك: "الوَسْوَاس، والوَشْواش: همسُ الصائد والكلاب، وكلام فى اختلاف، وصوتُ الحُلِى"[٤].

---

(١) التسميت والتشميت: الدعاء للعاطس.

(٢) تحبير الموشين فى التعبير بالسين والشين. ص ٣٨.

(٣) السابق، ص ٦٣.

(٤) السابق، ص ١٣٠.

٣- التصحيح اللغوى:

ونعنى بهذه النوعية من الكتب ما قام به بعض المؤلفين من محاولات لتصويب الأخطاء الشائعة على الألسنة، التى انجرت عن شيوع اللحن فى كلام العوام، وبيان ما بها من أخطاء والتنبيه على الصواب. ولم يكن الأمر مقصوراً على العوام وأخطائهم، وإنما امتد إلى الخاصة، من مؤلفين وكتَّاب وأدباء، شاع الخطأ فى كتاباتهم، ومؤلفاتهم، ولغتهم.

ويمثل هذه النوعية من كتب (التصحيح اللغوى) كتابان:

أولهما: (تصحيح التصحيف وتحرير التحريف)، ومؤلفه هو صلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدى، المتوفى (٧٦٤هـ). ويعد هذا الكتاب أكبر مؤلَّف فى مجال **(لحن العامة)**. وقد اعتمد فيه مؤلفه على عدة مؤلفات فى ميدان لحن العوام والتصحيف والتحريف، منها: **(لحن العوَام)**، للزُّبيدى (ت ٣٧٩هـ)، و **(شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف)**، لأبى أحمد العسكرى، (ت ٣٨٢هـ)، و **(تثقيف اللسان وتلقيح الجنان)**، لابن مكى الصقلى، ت (٥٠١هـ) و **(درة الغواص فى أوهام الخواص)**، للحريرى، (ت ٥١٦هـ)، و(تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة)، للجواليقى، (ت ٥٤٠هـ)، وهو ذيلٌ على سابقه، وغيرها من الكتب.

وقد رتب الصفدى كتابه على حروف المعجم، وجعل لكل كتاب من الكتب التى اعتمد عليها رمزاً، فكان يشير إلى الرمز حين النقل من الكتاب، ويورد (قلتُ)، للإشارة إلى أن هذا كلامه. وكانت البداية عنده (الهمزة والألف بعدها)، و(الهمزة والباء الموحدة)، و(الهمزة والتاء ـ المثناة من فوق إلى (الهمزة والياء). ثم يأتى (حرف الباء الموحدة)، ثم (حرف التاء المثناة من فوق)، وكان (حرف الياء آخر الحروف).

ويستشهد المؤلف بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة كثيرًا، كما يورد العديد من الشواهد الشعرية، وأمثال العرب وأقوالهم، ويعتمد كذلك على الروايات والسماع.

أما الكتاب الآخر في إطار هذه النوعية من المؤلفات فهو **(التذييل والتكميل لما استعمل من اللفظ الدخيل)** للبشبيشي (ت ٨٢٠هـ). وهو تذييل على كتاب **(المعرب من الكلام الأعجمي)** للجواليقي؛ إذ يستدرك على الجواليقي ما فاته، وينبه على ما وقع فيه من أوهام، هو أو غيره، ويُظهر ما كان في **(المعرب)** من تحريف.

رابعًا: معاجم المصطلحات:

يقصد بهذه المعاجم تلك التي تتناول بالتعريف والتحديد مصطلحات العلوم المختلفة، وتتسم هذه النوعية من المعجمات بتعدد العلوم والفنون التي يتناولها المعجم. وثمة معجمان اثنان يقعان في فترة الدراسة، أعني القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وهما: **(التعريفات)**، لعلي بن محمد الجرجاني، (٧٤٠هـ ـ ٨١٦هـ)، الذي يحتوي على ألفين ومائة وتسعة وثلاثين مصطلحًا. وهو يعد من **(معاجم المصطلحات)** التي لا تقتصر على فن واحد، بل تعالج العديد من المصطلحات المرتبطة بالكثير من العلوم والفنون، ففيه مصطلحات فقهية، وعروضية، وبلاغية، ونحوية، وحديثية، وفلسفية، وغير ذلك.

ويقول المؤلف ـ في المقدمة ـ بعد ديباجة قصيرة: "... وبعد فهذه تعريفات جمعتها، واصطلاحات أخذتها من كتب القوم، ورتبتها على حروف الهجاء من الألف إلى الباء إلى الياء، تسهيلا تناولها للطالبين، وتيسيرًا تعاطيها للراغبين"[(١)].

وعلى الرغم من الترتيب الهجائي العام في الكتاب، بجعل أول الأبواب (باب الألف)، ثم (باب الباء) ... إلى (باب الياء)، إلا أن المؤلف لم يلتزم بهذا الترتيب في إطار الباب الواحد، فنجده، مثلا، في (باب الشين) يورد: (الشاهد) قبل (الشاذ)، ونراه يذكر في (باب الميم): (المترادف) قبل (المتباين). ويلاحظ أن

(١) التعريفات. ص ١٥.

المؤلف قد يستشهد فى بعض الأحيان بآيات قرآنية. ويورد الجرجانى فى آخر الكتاب (رسالة فى اصطلاحات الصوفية فى الفتوحات المكية)، للإمام الكامل محيى الحق والدين أبى عبد الله محمد بن على المعروف بابن عربى).

وثانى هذين المعجمين: معجم (مقاليد العلوم فى الحدود والرسوم)، المنسوب إلى جلال الدين السيوطى. (ت ٩١١هـ). وقد صَدَّر المصنِّف هذا الكتابَ بذكر السلطان (أبى الفوارس شاه شجاع)، طالبًا منه أن يرضى عن هذه البضاعة، وقد توفى هذا السلطان قبل مولد (جلال الدين السيوطى) باثنتين وستين سنة، إذ كانت وفاة هذا السلطان سنة ٧٨٦هـ، أو سنة ٧٨٧هـ، وكان ميلاد السيوطى سنة ٨٤٩هـ. ولذا يغلب على الظن ـ كما يقول محقق الكتاب ـ أن مؤلف هذا الكتاب (سيوطى) آخر، هو (محمد بن الحسن الشيخ شمس الدين السيوطى)، المتوفى سنة ٨٠٨هـ.

يحتوى هذا المصنَّف على ١٨٦٢ مصطلحًا، موزعة على واحد وعشرين علمًا، هى: التفسير. الحديث. الفقه. أصول الكلام. الجدل. النحو. الصرف. المعانى والبيان. العروض. المنطق. الحكمة. الهيئة. الهندسة. الحساب. الاستيفاء. الموسيقى. النجوم. الطب. الأخلاق. التصوف.

يوضح المؤلف ـ فى مقدمة كتابه ـ منهجه فى إيراد المصطلحات، فيذكر أنه بوبها على واحد وعشرين بابًا، يشتمل كل باب على تعريف العِلْم، ثم على مصطلحات ذلك العِلْم مجملا. وتحتوى الأبواب على فصول، وتخلو تلك الفصول من العناوين، ففى الباب الثانى، مثلا، وعنوانه (فى الحديث)، يعرِّف علم الحديث، ثم يورد العديد من مصطلحات (علم الحديث)، نحو: الصحيح. الحسن. الضعيف. ويعقد بعد ذلك فصلا فيه بعض المصطلحات، مثل: الإسناد. السَّنَد. المتن.

والمؤلف فى كل مصطلحات الكتاب يعرضها دون التزام بالترتيب الهجائى، وليس ثمة إشارة فى الكتاب إلى المصادر التى عوَّل عليها فى إيراد تعريفات هذه المصطلحات.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني:

المعاجـــم القرآنيـــــة

على الرغم من أن المعجمات العربية كانت مسبوقة بأعمال لغوية مهّدت الطريق لهذه المعجمات، وتمثل ذلك فى الرسائل اللغوية الصغيرة وكتب الأضداد، إلا أن البدايات المبكرة والإرهاصات الأولى لهذه المعجمات تمثلت فيما قام به عبد الله بن عباس، المتوفى سنة (٦٨هـ)، من جمع للكلمات الغريبة فى القرآن الكريم وشرحها، وتفسير ما أشكل على المسلمين فهمه من الألفاظ. ويروى أن أعرابيا أتى إلى ابن عباس، فقال:

تَخَوَّفَنى مالِى أخٌ لِىَ ظالمٌ فلا تَخْذُلَنّى اليومَ يا خيرَ من بَقِى

فقال: تَخَوَّفَك أى تَنَقَّصَك؟ قال: نعم، قال: الله أكبر ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾[١]، أى تنقُّص من خيارهم[٢].

وابن عباس، ابن عم رسول الله ﷺ، وترجمان القرآن، هو الذى دعا له النبى ﷺ، فقال: «اللهم فقهه فى الدين، وعلّمه التأويل»، وهو الذى قال فيه عبد الله ابن مسعود، (وهو أحد الصحابة وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وهو الذى قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وعاء ملئ علمًا): نعم ترجمان القرآن ابن عباس، وهو إسناد صحيح إلى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة. وقد مات ابن مسعود رضي الله عنه فى سنة اثنتين وثلاثين، على الصحيح. وعُمِّر بعده عبد الله بن عباس ستا وثلاثين سنة. فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود»[٣].

---

(١) سورة النحل. الآية (٤٧).

(٢) أمالى القالى: ٢/ ١١٢.

(٣) معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخارى. ص (ب).

وتعد الصحيفة التى عرفت باسم (صحيفة على بن أبى طلحة) فى تفسير القرآن الكريم أقدم الروايات التى دونت عن ابن عباس. وقد نقل هذه الصحيفة البخارى، وابن جرير الطبرى، وأبو جعفر النحاس، وغيرهم، وتحدث عنها البعض، مثل الذهبى، وابن حجر العسقلانى، والسيوطى، وغيرهم[١]. تلك كانت البداية المبكرة لظهور المعجمات العربية.

وتلا ابن عباس أبو سعيد أَبَان بن تَغْلِب بن رباح، المتوفى سنة (١٤١هـ)، الذى دَوَّنَ كتابًا فى غريب القرآن[٢].

وتنقسم المعاجم القرآنية قسمين:

أولهما: (معاجم غريب القرآن والحديث):

ويشهد القرنان الثامن والتاسع الهجريان ستة كتب فى غريب القرآن والحديث: أولها: **(تحفة الأريب بما فى القرآن من الغريب)**، لأبى حيان النحوى الأندلسى، المتوفى سنة (٧٤٥هـ)، وهو يعد من أكثر كتب غريب القرآن القديمة اختصارًا، وأوضحها أسلوبًا ومعالجة. وقد رتب أبو حيان الكلمات الغريبة على حروف المعجم، بتقسيمها إلى مواد لغوية، بعد تجريدها من الزوائد. وينبنى ترتيب الألفاظ عنده حسب الحرف الأول فالحرف الأخير، دون النظر إلى أحشاء الكلمة، إلا أنه لم يلتزم بالترتيب الألفبائى فيما يتصل بالحرف الأخير.

يبدأ أبو حيان معجمه بحرف الهمزة، فحرف الباء، وآخر الحروف عنده حرف الياء. ويبدو عدم التزامه بالترتيب فى الحرف الأخير فى أنه يورد، مثلا: (أسن) قبل (أسف)، و(أنف) قبل (أنس).

ولم يكن المؤلف يشير إلى السورة أو الآية التى وردت فيها الكلمة، بل كان

---

(١) السابق، ص (و).

(٢) انظر: معجم الأدباء: ١/ ٦٧.

يقتصـر على ذكر المعنى اللغوى وما يتـصل بالمعنى القرآنى، فيقـول مثلا. (ثـقب: ثاقب: مضىء)[١]. ويقول أيضًا: (قنت: قانتون: مطيعون)[٢]. كما أن المؤلف لم يهتم بالشواهد التى يدلل بها على شرحه وتفسيره، أو بالاختلافات فى الآراء، وقليلا ما كان يشير إلى لهجات القبائل.

والكتاب مختصر مفيد فى غريب القرآن، يعين الباحث على الوصول إلى مبتغاه، دون الولوج فى الخلافات والآراء المتباينة.

وقد اختـصره الشيخ قاسم الحنفى فى كتـاب سماه **(مختـصر كتاب التـحفة فى غريب القرآن)**، وكان الدافع إلى اختصاره الرغبة فى تـهذيبه وتيسيره وزيادة ما يجب زيادته من ألفاظ، ويقول مؤلفه: " لمّا رأيت كتاب **(التحفة فى غريب القرآن)** عِقدا تناثرت دُرره، أحـببت أن أنظمه فى أقـرب سلك، وهو الحـرف الأول والثـانى من الحروف الأصلية مميزًا ما زدتُ بقلتُه"[٣].

وثانى هذه المصنفـات كتاب **(بهجـة الأريب فى بيان مـا فى كتاب الله الـعزيز من الغـريب)**، لعـلاء الدين على بن عـثـمـان بن إبراهيم المـاردينى، المـعـروف بابن التركمـانى، المتوفى سنة (٧٥٠هـ). يجمع الماردينى فى هـذا الكتاب بين ثلاثة كتب من كتب الـغريب: **أولها**: (تفـسيـر غريب القـرآن)[٤]، لابن قـتيبـة (ت ٢٧٦هـ)، **وثانيها**: **(تفسيـر غريب القرآن)**، للسـجـستانى (ت ٣٣٠هـ)، **وثالثها**: **(الغريبين فى غريبى القرآن والحديث)**، للهروى (ت ٤٠١هـ)، إضافة إلى **(الكشاف)**، للزمخشرى (ت ٥٣٨هـ)، وهو كتاب فى التفسير. وكـان المؤلف ينقل أولا عن الـسجستانى، يليه ابن قتيبة، فإن لم يجد ضـالته فيهـما نقل من **(الغريبين)** و **(الكشاف)**. وقد رتب المؤلف كتابه على السور، مبتدئًا بالفاتحة، ومنتهيًا بسورة (الناس).

---

(١) تحفة الأريب بما فى القرآن من الغريب. ص ٧٩.

(٢) السابق، ص ٢٥٥.

(٣) المعجم العربى: نشأته وتطوره: ١/ ٣٩.

(٤) ويسمى أيضاً: (نزهة القلوب فى غريب القرآن).

ويبين الماردينى فى مقدمته دافعه إلى تأليف هذا الكتاب، فيقول: إن الناس قد اشتغلوا بتلاوة ألفاظ القرآن، وغفلوا عن المقصود الأعظم، وهو فهم مقاصده وأغراضه . . . فلو سألتَ عن غريبةٍ من غرائبه لوجدت أكثرهم لها جاهلا، وعن تدبُّر معناها ذاهلا»[١].

وكان المؤلف ـ عند ورود اللفظ للمرة الأولى ـ يقوم بشرحه وتفسيره، ونادراً ما يعيد تفسيره، ولذا يتسم الكتاب بالإيجاز، والاهتمام باللغة أكثر من العناية بالتفسير، وقلة المفسرين الذين رجع إليهم وأفاد منهم، إضافة إلى قلة النصوص المستشهد بها.

أما المصنَّف الثالث فهو كتاب (**التبيان فى تفسير غريب القرآن**). لشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصرى، المتوفى (٨١٥هـ).

يقوم منهج هذا الكتاب على أساس ترتيب الغريب حسب ترتيب السور فى القرآن الكريم، فيبدأ الكتاب بالفاتحة، فسورة البقرة، فسورة آل عمران . . .

ويُعنى ابن الهائم باللغات فى القرآن عناية كبيرة، ويهتم بتفسير معانى الكلمات، ويبين اشتقاقها، وكان يعود إلى العديد من المعاجم والمصادر اللغوية المختلفة، مثل: (**تهذيب اللغة**) للأزهرى، و (**الصحاح**) للجوهرى، و (**القاموس المحيط**) للفيروزابادى، إضافة إلى (**صحيح البخارى**)، و (**الزاهر فى معانى كلمات الناس**) لابن الأنبارى، و (**سر صناعة الإعراب**) لابن جنى.

وكانت غاية ابن الهائم من تأليف هذا الكتاب تتمثل فى تهذيب (**تفسير غريب القرآن**) لأبى بكر السجستانى (ت ٣٣٠هـ)، الذى يعد ـ فى نظر ابن الهائم ـ من أنفس ما صنف فى تفسير غريب القرآن[٢]، فعزمَ صاحبُ (**التبيان**) على توضيح ما غمض فيه، وجمع ما تفرق من غريب كل سورة، مع زيادة أشياء فى بعض المواضع

(١) بهجة الأريب فى بيان ما فى كتاب الله العزيز من الغريب. ص ٦٩.

(٢) التبيان فى تفسير غريب القرآن. ص ٤٩.

على الأصل، لتسهل مطالعته، وتتم فائدته، متوخيًا التسهيل، متجنبًا التطويل، ميزًا بين عبارة السجستاني والزيادة التي يأتي بها بالرمز (زه)[١].

وينهي ابن الهائم كتابه بإيراد (فوائد وتنبيهات)، تحدث فيها عن مصنِّف أصل كتابه، وهو أبو بكر السجستاني، وعن موضوع هذا الكتاب، وهو تفسير غريب القرآن، وبيَّن كيف تم تجاوز موضوع الكتاب إلى ذكر معان تفسيرية. ويعتمد الكتاب على الشواهد الشعرية في الاستشهاد على الغريب.

ويتصل بمعاجم غريب القرآن كتاب **(بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)**، للفيروزأبادي، الذي يعد معجمًا لغويا متميزًا لمواد القرآن الكريم، ومفرداته، وغريبه. فبعد مقدمة وعدة مباحث تتعلق بالقرآن الكريم، يعرض الفيروزأبادي لتفسير مفردات القرآن، مثلما صنع الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) في مؤلَّفه **(المفردات في غريب القرآن)**. يفسر الفيروزأبادي ـ في البداية ـ الكلمات المفتتحة بحرف الألف)، تليها (الكلمات المفتتحة بحرف الباء) . . الكلمات المفتتحة بحرف الياء).

وكان المؤلف يبدأ في كل حرف بوصفه، وبيان معناه لغةً، والنسبة إليه، واشتقاقه، ففي (حرف الألف) يبين الكاتب وزن الكلمة، واشتقاقها، والمعنى اللغوي لها، ويتحدث عن الألف في القرآن ولغة العرب، وأنها ترد على نحو من أربعين وجهًا، ثم يتعرض بالشرح والتحليل والتفسير للكلمات المفتتحة بحرف الألف، مثل: الإنسان. الإضافة. الأمر. الإتيان.

وفي (الياء) يبدأ المؤلف ببيان صفة الحرف الصوتية، والنسبة إليه، ووجوهه، ثم الكلمات المفتتحة بحرف الياء، مثل: يئس. يبس. يتم.

ونلحظ أن المؤلف لا يتبع نظامًا واحدًا في ترتيب المفردات في إطار الحرف

(١) انظر: السابق. ص ٥٠.

الواحد، فنراه يبدأ بالحرف الأصلى أحيانًا، وأحيانًا أخرى يقيم اعتبارا للحرف الزائد فى الكلمة، فيورد، مثلا، (الإنزال) فى (حرف الألف)[١].

وقد بيَّن المؤلف فى المقدمة ـ أنه قام بتأليف هذا الكتاب بناءً على أوامر من السلطان الأشرف إسماعيل بن العباس، الذى طلب منه "جمع أشتات العلوم، وضم أنواعها على تباين أصنافها، فى كتاب مفرد . . . فيستغنى الحائز له، الفائز به، عن حمل الأسفار فى الأسفار"[٢].

ومن كتب غريب القرآن أيضًا كتاب (**عُمدة الحفَّاظ فى تفسير أشرف الألفاظ**)، للشيخ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبى، (ت ٧٥٦هـ). وهو معجم لغوى لألفاظ القرآن الكريم.

ويرتبط بمعاجم (**غريب القرآن**) ما يناظرها من معاجم (**غريب الحديث**)، التى تُعنى بإيضاح وتفسير ما يرد فى متن الحديث النبوى، من ألفاظ مبهمة غامضة، تحتاج إلى تفسير وبيان. ولعل طليعة هذا التأليف فى هذا النوع من المعاجم تتمثل فيما كتبه **النَّضْر بن شميل** (ت٢٠٣هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ).

ومما يتصل بمعاجم (**غريب الحديث**): (**التذييل والتذنيب على نهاية الغريب**)، للسيوطى، وهى رسالة صغيرة من رسائل غريب الحديث، جمع مؤلفها مادتها من كثير من كتب اللغة والغريب والحديث.

وكان السيوطى قد اختصر (**النهاية فى غريب الحديث والأثر**)، لمجد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، فى كتاب سماه (**الدر النثير**)، اقتصر فيه على تفسير الألفاظ دون إيراد الأحاديث الواردة فى (**النهاية**). ثم جمع السيوطى هذه الزيادات التى أوردها فى (**الدر النثير**) فى هذه الرسالة التى سماها (**التذييل والتذنيب**)، التى يقول فى مقدمتها:

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز: ١/ ٢٩.

(٢) السابق: ١/ ٣٤.

«إن (النهاية فى غريب الحديث)، للإمام ابن الأثير، أجل كتاب ألف فى الغريب، وأجمعه للبعيد منه والقريب، وقد فاته جمٌّ يحتاج إليه الطالب، ويفتقر إلى تتبعه كل راغب، وقد لخصت كتابه فى مجلد فى غاية التنقيح والتهذيب، وضممت إليه زوائد قربتها أحسن تقريب، ثم بدا لى أن أفرد ما فاته بتأليف ينتفع به من عنده (النهاية) . . . وقد سميته (التذييل والتذنيب على نهاية الغريب)»[١].

ويقوم ترتيب مواد (التذييل والتذنيب) على الحروف الهجائية، فأولها (حرف الهمزة)، يليها (حرف الباء)، إلى (حرف الواو). ويعتمد السيوطى على (الصحاح) للجوهرى، و (غريب الحديث) لابن الجوزى، و (أمالى ثعلب)، و (المحكم) لابن سيده، و (القاموس المحيط) للفيروزأبادى، وغيرها من أمهات الكتب.

القسم الثانى من المعاجم القرآنية:

(معاجم المعرَّب فى القرآن):

وتتمثل (معاجم المعرب فى القرآن) فى كتابين للسيوطى:

أولهما: (المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب). ويُعنى السيوطى فى هذا الكتاب بما وقع فى القرآن من ألفاظ معربة: فارسية، أو حبشية، أو نبطية، أو عبرانية، أو قبطية، أو غير ذلك. ويوضح المؤلف ما قام به فى كتابه هذا، فيقول: لقد "تتبعت فيه الألفاظ المعرَّبة التى وقعت فى القرآن، مستوعبًا ما وقفت عليه من ذلك، مقرونًا بالعزو والبيان"[٢].

والألفاظ المعربة الواردة فى (المهذب) مرتبة على حروف المعجم، فأول الحروف: (حرف الهمزة)، يليه (حرف الباء)، وآخرها (حرف الياء). ويخلو الكتاب من خمسة أحرف، هى: الثاء، والخاء، والذال، والضاد، والظاء.

وتتفاوت الكلمات الواردة فى إطار كل حرف، من حيث الكثرة والقلة، فبينما يرد فى (الهمزة) عشرون كلمة، وفى (السين) خمس عشرة كلمة، وفى (الميم) ثلاث

---

(١) التذييل والتذنيب على نهاية الغريب. ص ٣٣.

(٢) التبيان فى تفسير غريب القرآن. ص ٤٩.

عشرة كلمة، نجد أن نصيب (الزاى) كلمة واحدة، ومثلها (اللام). وثمة أحرف تميزت بالتوسط فى العدد، مثل (الباء)، التى يجىء معها سبع كلمات.

وقد أورد السيوطى تلخيصًا لهذه الألفاظ المعربة فى كتابه **(الإتقان فى علوم القرآن)**، وذلك فى النوع الثامن والثلاثين (فيما وقع فيه بغير لغة العرب)؛ إذ يقول: "لقد أفردت فى هذا النوع كتابًا سميته **(المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب)**، وها أنا ألخص هنا فوائده"(١).

وثانيهما: (المتوكلى). ويليه **(رسالة فى أصول الكلمات)**، من تأليفه أيضا. وقد أورد السيوطى فى هذا الكتاب الصغير ما ورد فى القرآن الكريم من ألفاظ باللغات: الحبشية، والفارسية، والهندية، والتركية، والزنجية، والنبطية، والقبطية، والسريانية، والعبرانية، والرومية، والبربرية.

لم يلتزم السيوطى فى **(المتوكلى)** ـ الذى سماه بهذا الاسم نسبة إلى أمير المؤمنين وارث الخلفاء الراشدين الإمام المتوكل ـ بالترتيب الهجائى فى إيراد الكلمات، ففى (ذكر ما ورد فى القرآن بلغة الحبشة) يأتى **(الجبت)**(٢)، بمعنى الشيطان، قبل **(أوّاه)**(٣)، بمعنى الموقن أو المؤمن. وفى (ذكر ما ورد فى القرآن بالرومية) يورد **(القسطاس)**(٤)، بمعنى العدل أو الميزان، قبل **(الرقيم)**(٥)، بمعنى اللوح.

أما رسالته فى أصول الكلمات فيعرض فيها الأصل اللغوى لعشرات الألفاظ،

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن: ١/ ٤٢٧.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾. سورة النساء. الآية (٥١).

(٣) ويرد اللفظ فى قوله عز وجل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾. سورة التوبة. الآية (١١٤).

(٤) كما فى قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾. سورة الإسراء. الآية (٣٥).

(٥) ويجىء فى قوله جل شأنه: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾. سورة الكهف. الآية (٩).

وترد عنده دون ترتيب، فيأتى مثلا: (الصراط) قبل (السفه)، و(الطغيان) قبل (التلاوة)، فيقول: (أصل الصراط: الطريق فى كلام العرب... أصل السفه: الخفة والرقة..... أصل الطغيان: مجاوزة الحد .... أصل التلاوة: الإتباع)[1].

(١) المتوكلى. ص ١٤.

المبحث الثالث:

معاجـــم التراجـــم

يُقصد بمعاجم التراجم تلك الكتب التى تهتم بالشخصيات التى كان لها تأثير لا يُجحد فى الحياة، وبصمات لا تُنكر فى التاريخ، وهو ما عُرف بفن التراجم. وكان المؤلف فى إطار هذه النوعية من المؤلفات يذكر ميلاد المترجَم ووفاته، ورحلاته، ومصنفاته، ومكانته، ووظائفه، ومناصبه، وتلامذته، وشيوخه، وكان الاهتمام "يمتد ليشمل الحوادث والأحداث العامة التى يكون العَلَم أو المترجَم قد شارك فيها، أو عاصرها، أو كان منها، أو كانت منه بسبب، بل إن بعض مصنفى كتب التراجم يعرض للحوادث والأحداث بدواعى الاستطراد ليس غير. والاستطراد سمة من سمات التأليف عند كثير من علمائنا ومؤرخينا"(١).

وكان بعض هذه المعاجم مرتبا على الأسماء، مثل: **(الوافى بالوَفَيات)** للصفدى، وبعضها كان مرتبا على الألقاب، مثل: **(نزهة الألباب فى الألقاب)** لابن حجر العَسقَلانى، وكان البعض الآخر معنيا بالأنساب، مثل: **(لُب اللباب فى تحرير الأنساب)** للسيوطى.

ومن هذه المعاجم ما جاء مرتبا على القرون، مثل:

(الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة) لابن حجر، ومنها ما تعلق بالأقاليم، مثل **(الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد)** للأدفوى.

وثمة معجمات ارتبطت بفئات أو وظائف أو مهن، مثل: **(البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة)** للفيروزأبادى، وبعض هذه المعجمات كان ذا اتصال بطبقة اجتماعية، مثل: **(الفلاكة والمفلوكون)**، أو بأصحاب صفة خِلْقية، مثل: **(نَكت الهِمْيان فى نُكَت العُميان)**.

---

(١) أعمار الأعيان. ص ٨.

وتنقسم معاجم التراجم قسمين، هما:

أولا: معاجم التراجم العامة

وتشمل ما يلى:

(أ) معاجم مرتبة على الأسماء والألقاب والأنساب:

يشهد القرنان الثامن والتاسع الهجريان العديد من المعاجم المرتبة على الأسماء والألقاب والأنساب.

وأول هذه المصنفات:

(سير أعلام النبلاء)، للذهبى (ت٧٤٨هـ)، الذى تناول فيه تراجم لأربعين ألف شخصية من مختلف الأقطار، ودرس فيه تاريخ الإسلام على مدى سبعة قرون، منذ الهجرة النبوية حتى نهاية القرن السابع الهجرى، وكانت الرقعة المكانية عنده واسعة؛ إذ امتدت من المشرق إلى بلاد الأندلس.

ومن هذه المصنفات المرتبة على الأسماء:

(الوافى بالوَفَيات)، للصفدى (ت ٧٦٤هـ)، الذى أورد فى كتابه هذا تراجم لأعلام المسلمين من الصحابة، والتابعين، والملوك، والخلفاء، والوزراء، والأدباء، والشعراء، والكتَّاب، والفقهاء، والقرَّاء، والمشايخ، والأولياء، والنحاة، والحكماء، والقضاة، والنابغين فى كل علم وفن.

وكانت الغاية من تأليف هذا الكتاب استخلاص العظة والعبرة، والوقوف على أهمية التاريخ، الذى قد يفيد "حزما، وعزما، وموعظة، وعلما، وهِمَّة تذهب هَما، وبيانا يزيل وهنا ووهما"(١).

---

(١) الوافى بالوفيات: ١/ ٥.

وقام ترتيب الكتاب على حسب الحروف الهجائية، مبتدئا بالنبى ﷺ، ثم مَنْ اسمه (محمد)، ثم بدأ بعد ذلك من حرف (الألف)، و(الباء)، و(التاء)، إلى حرف (الياء). وكان يذكر تاريخ وفاة كل صاحب ترجمة، ونادرا ما شذ عن ذلك، وتكون العلة حينئذ عدم التحقق من تاريخ الوفاة. وكان الصفدى حريصا على ذكر المصدر الذى أخذ عنه، جاعلا لكل اسم بابا، مقسِّما كل باب إلى فصول، مترجما لكل ذى أهمية ومكانة، مُسْلِما كان أم غير مُسلم.

وهناك أيضا (**فَوَات الوَفَيات والذيل عليها**)، لابن شاكر الكتبى، (ت ٧٦٤هـ)، التى كانت تذييلا على (**وفيات الأعيان**)، لابن خلكان (ت ٦٨١هـ) واستدراكا عليه، فقد وجد الكتبى أن ابن خلكان لم يذكر أحدا من الخلفاء، وأنه أخلَّ بتراجم بعض الفضلاء والنابهين، فأراد أن يصنع كتابا يورد فيه من لم يرد له ذِكْر فى (**وفيات الأعيان**) من الخلفاء والفضلاء.

ويبدو أن ابن شاكر وضع "أمامه كتاب الصفدى (**الوافى بالوفيات**)، فاختار منه عددا من التراجم (ربما لم تزد على ستمائة) . . . وتولى ما ينقله ببعض الاختصار ولم يزد شيئا فى المعلومات التاريخية والإخبارية، وإنما زاد فى بعض المختارات الشعرية، وحاول حقا ألا يكرر ما أورده ابن خلكان من تراجم"[(١)].

ويتصل بهذه النوعية من الكتب:

(**الوَفَيات**)، لتقى الدين السَّلاَّمى، (ت٧٧٤هـ)، الذى جعله صاحبه ذيلا على كتاب (**المقتفى لتاريخ أبى شامة**)، للقاسم بن محمد البِرْزالى، المتوفى سنة (٧٣٩هـ)، ويُعرف باسم (**وفيات البرزَالى**). وقد توقف السَّلامى عند سنة وفاته (٧٧٤هـ)، واعتمد على تاريخ وفاة من يُترجم له، وجعل هذا التاريخ أساسا للترتيب وضمنه العديد من الشعراء، والأدباء، والفقهاء، والمؤرخين، والسلاطين، والخلفاء، والأطباء، والكتَّاب، وغيرهم.

---

(١) فوات الوفيات: ١/ ٤، ٥.

وحظى المحدّثون بعناية السَّلامي، فشغلوا الحيز الأكبر في كتابه هذا، كما وَجَّه جُل اهتمامه إلى (وفيات) بلاد الشام، فعُنى بها وأفرد لها الحيز الأكبر، دون أن يهمل ما عداها من (وفيات) في بقية البلاد والأصقاع.

وكان شيخنا يبدأ بذكر تاريخ الوفاة، ثم لقب المترجَم، وكنيته، واسمه، وحَرَصَ على إيضاح من سمع صاحبُ الترجمة منهم، ومن تتلمذ عليهم، مبينا مكانته ومناصبه التي تولاها.

ومن كتب التراجم المهمة أيضا:

(الوَفَيات)، لابن الخطيب، ويعرف أيضا بابن قنفذ (ت٨٠٩هـ)، وهو عبارة عن معجم أو تاريخ صغير لوفيات الصحابة، والعلماء، والمحدّثين، والفقهاء، والمفسرين، والمؤلفين، والشعراء. وهو مرتب على القرون وعلى تواريخ وفياتهم، من (سنة ١١هـ) إلى (سنة ٨٠٧هـ). وقد بدأه صاحبه بالمائة الأولى من (١-١٠٠هـ)، واستهلها بوفاة النبي ﷺ (سنة ١١هـ)، ووفاة فاطمة رضي الله عنها، ثم (فصل في العَشرة رضي الله عنهم)، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص. يليه (فصل في أمهات المؤمنين رضي الله عنهن).

ويحتوي الكتاب على تراجم للعديد من الشخصيات، والحديث عن كل منها قصير موجز. وشخصياته متنوعة، فهناك لبيد بن ربيعة، ومعاوية بن أبي سفيان، (مؤسس الدولة الأموية بالشام)، والإمام الشافعي، والمبرد، صاحب (المقتضب)، والطبري، (المؤرخ والمفسر)، والزجاج، والزجاجي، والثعالبي، صاحب (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر)، وغيرهم.

وقد توقف ابن الخطيب عند العشرة الأولى من المائة التاسعة، بالحديث عن وفاة محمد بن عبد الرحمن المراكشي العزيز سنة ٨٠٧هـ.

ويرتبط بهذه المعجمات كتاب (المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي)، لابن

تغرى بردى[١] (ت٨٧٤هـ). الذى يعد معجما تاريخيا متميزا، إذ يضم تراجم لما يقرب من ثلاثة آلاف عَلَم، من ملوك، وخلفاء، وسلاطين، وأمراء، ووزراء، وشعراء، وأدباء، وخطباء، وأطباء، ومؤرخين، وأعيان، وأصحاب حرف مختلفة، ممن عاشوا فى مصر والشام واليمن والحجاز وبلاد الأندلس، وكذلك بعض النساء الشهيرات.

وقد بدأ الكتاب من أوائل الدولة التركية (أو كما يقال الدولة المملوكية)، من حكم السلطان المعز أيبك التُرْكُمَانى سنة ٦٤٨هـ إلى سنة ٨٦٠هـ، وبدأ بترجمة المعز التركمانى ثم رتب أعلامه على الحروف الهجائية مبتدئا بحرف الألف.

واعتمد **(المنهل الصافى)** على **(الوافى بالوفيات)** للصفدى، فى اختيار تراجمه، إلا أن **(المنهل)** أضاف إلى تراجم **(الوافى)** تراجم أعيان ما يقرب من قرن من الزمان.

ويتصل بهذا الكتاب أيضا: **(الدليل الشافى على المنهل الصافى)**، للمؤلف نفسه، وهو اختصار للمنهل الصافى وديباجة له، كما يقول مؤلفه، الذى رتبه على ترتيب **(المنهل)** من أوله إلى آخره، واختصر فيه التراجم، إلا أن هناك تراجم جاءت فى **(الدليل الشافى)** ولم ترد فى **(المنهل الصافى)**، كما أن **(المنهل)** قد تضمن تراجم سقطت من الدليل.

وأول الحروف عنده (حرف الهمزة)، ثم (حرف الباء ثانية الحروف)، ثم (حرف التاء المثناة)، إلى (حرف الياء آخر الحروف).

وكتب ابن تغرى بردى أيضًا: (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة). وهو موسوعة تاريخية؛ إذ يتناول تاريخ مصر بترتيب السنين بدءًا من فتح عمرو بن العاص لمصر سنة ٢٠ هـ، وهو يذكر ولاة مصر من السلاطين والملوك، ومن توفى من أعلام الإسلام فى دولة كل خليفة أو سلطان، إلا إنه كان مختصراً فى ترجماته.

وقد اختصره مؤلفه فى كتاب آخر، هو: **(الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة)**، وجعله كالذيل على كتاب **(السلوك لمعرفة دول الملوك)**، لتقى الدين

---

(١) ومعناها ـ بلغة التتار: عطاء الله، او الله اعطى.

أحمد بن على المقريزى، المتوفى سنة ٨٤٥هـ. وبدأ فيه من أخبار سنة ٨٤٥هـ إلى سنة ٨٧٢هـ.

وثمة تراجم ملحقة بكتب متخصصة، ويتبدى ذلك فيما أورده السيوطى فى آخر كتابه (المزهر)، فى الأنواع: الرابع والأربعين، والخامس والأربعين، والسادس والأربعين، والسابع والأربعين. ولم يكن السيوطى فى كل هذه الأنواع يلتزم بالترتيب الهجائى فى إيراد الأعلام.

ومن الكتب المرتبة على حروف المعجم والمعنية بالألقاب: (نزهة الألباب فى الألقاب)، لابن حجر العسقلانى . (ت٨٥٢هـ).

وقد جمع ابن حجر فى هذا الكتاب كل الألقاب فى المشرق والمغرب، منذ الجاهلية حتى القرن التاسع الهجرى. ويبين المؤلف أهمية معرفة الألقاب، فيذكر أنها قد تأتى فى السياق مجردة عن الأسماء، وأن الحصيف قد لا يعرفها، ويوضح أن الألقاب تنقسم إلى أسماء وكنى وأنساب، وإلى قبائل وبلدان ومواطن وصنايع، وإلى صفات فى المُلَقَّب»[1].

وقد نظر ابن حجر فى بعض كتب الطبقات والألقاب، فأفاد منها، وأضاف إليها، واستدرك عليها، ورتب كتابه على ثلاثة أبواب:

الأول: فى الألقاب بألفاظ الأسماء، والحق بها الصنايع والحرف: كالبقال، والصفات: كالأعمش.

والثانى: فى الألقاب بألفاظ الكنى، مثل: (أبو البشر: آدم عليه السلام)، و(أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة).

والثالث: فى الألقاب بألفاظ الأنساب إلى القبائل والبلدان وغيرها، مثل: (الزجاجى: عبد الرحمن بن إسحاق)، (والكسائى: على بن حمزة، المقرئ المشهور

(١) نزهة الألباب فى الألقاب. ص ١١.

أبو الحسن الكوفى الإمام النحوى)، و(المتنبى: الشاعر أحمد بن الحسين بن الحسن الكندى، ويكنى أبا الطيب).

وقد رتب كل بـاب من هذه الأبواب على حروف المـعجم. ويجيء قـبل الباب الأول: (فصل من لقب بمـا يكره)، أورد فيه عدم جواز أن يُدعى أحـد بما يكره من ألقاب، إلا عند قصـد التعريف به، ليتميـز من غيره بغير قصد ذم. وتتـسم ترجمات الكتاب بالإيجاز والاختصار.

وتشهـد فترة الدراسة كـتابا مهـما فى (الأنساب)، هو (**لُب اللُّباب فـى تحرير الأنساب**)، للسيوطى. (ت٩١١هـ).

ويبين السـيوطى مـقصده من تأليـف هذا الكتاب، فيـقول: إنه لمس "حـاجة المحدِّث اللبيب إلى مختصر فى الأنساب، وافٍ بالمقصود، كاف عن التَّطلاب، خالٍ عن التطويل مما يخرج عن هذا الباب[١]. ويوضح عمله فيه، فيضيف: لقد "نقحت فيه اللباب لابن الأثير، واستوفيت ضبط ألفاظه مع مزيد عليه كثير، وتتبعت فيه أشياء أهملها، واستدركت عليه ألفاظا أغفلـها، وميزت زوائدى بانتهى آخرها وقلت أولها، وسميته: (**لب اللباب فى تحرير الأنساب**)"[٢].

يهتم السيوطى فى هذا الكتاب بالأنساب، مثل: (الأُرْدُنِّى، بالضم، وسكون الراء وضم المـهـملة وتشـديد النون: إلى أردن، بلد بسـاحل الشـام)[٣]، و(العَجَـمى، بفتحـتين: إلى العَجَم وبلاد فارس، ومَنْ لـسانُه لا يُحْـسن العربية)[٤]، و(المـسَدِّى، بالضم والفتح وتشديد المهملة: الذى يعمل سَدَى الثياب)[٥].

ورتب المؤلـف (لب اللباب) على حـروف المعجم، فـأول الأبواب عنده (باب

---

(١) لب اللباب فى تحرير الأنساب. ص ٢.

(٢) السابق. ص ٢. (٣) السابق. ص ٩.

(٤) السابق. ص ١٧٦.

(٥) السابق. ص ٢٣٥. والسَّدَى: ما يمد طولا فى النسيج.

الألف الممدودة)، يليه (حرف الباء)، إلى (حرف الواو)، وبعده (حرف الهاء)، ثم (حرف اللام ألف)، وأخيرا (حرف الياء).

ويذكر السيوطى فى آخر كتابه أنه قد اختصره فى عشرة أيام متوالية، وقد تم ذلك سنة ٨٧٣هـ، وأنه كان عازمًا على استقصاء ما فات السَّمْعانى، ولكنه اقتصر على هذا القَدْر. وقد أورد فى هذا الكتاب كثيراً مما فات ابن الأثير والسمعانى، وأغلب ما زاده فيه كان من (معجم البلدان) لياقوت الحموى.

وقد جمع المؤلف فى هذا الكتاب "الأنساب إلى القبائل والبطون: كالقرشى والهاشمى. وإلى الآباء والأجداد: كالسليمانى والعاصمى. وإلى المذاهب فى الفروع والأصول: كالشافعى، والحنبلى، والحنفى، والأشعرى، والشيعى، والمعتزلى. وإلى الأمكنة: كالبغدادى، والموصلى. وإلى الصناعات: كالخيَّاط، والكيَّال، والقصَّاب، والجزَّار. وذكر أيضًا الصفات والعيوب: كالطويل، والقصير ... والضرير. والألقاب: كجزرة، وبلحة"[1].

ومن كتب الأنساب والكنى والألقاب (**المشتبه فى الأسماء والأنساب والكُنى والألقاب**)، للذهبى المتوفى (٧٤٨هـ). و (**تحفة ذوى الأرب فى مشكل الأسماء والنسب**) لابن خطيب الدَّهشة، المتوفى (٨٣٤هـ)، و (**تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**)، لابن حجر العسقلانى.

(ب) معاجم مرتبة على القرون والأقاليم:

نشهد فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين أربعة معاجم مرتبة على القرون والأقاليم، ثلاثة منها تجىء لأعلام القرنين المذكورين، ويختص الرابع بأعلام إقليم (قوص) بصعيد مصر. وأول هذه المعاجم: (**الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة**) لابن حجر. جمع ابن حجر فى هذا الكتاب تراجم من كان فى المائة

---

(١) السابق. ص ٨.

الثامنة من الهجرة النبوية، بدءا من سنة إحدى وسبعمائة إلى آخر سنة ثمانمائة، من الأعيان، والعلماء، والملوك، والأمراء، والكتّاب، والوزراء، والأدباء، والشعراء، واهتم أيضًا برواة الحديث النبوى، من أدركه ولم يلقه، ومن لقيه ولم يسمع منه، ومن سمع منه. واعتمد فى كتابه على كثير من المصنفات، مثل: **(ذهبية القصر)** لشهاب الدين بن فضل الله، و **(تاريخ مصر)** لقطب الدين الحلبى، و **(ذيل سير النبلاء)** للحافظ شمس الدين الذهبى، و **(الوفيات)** لتقى الدين بن رافع، و **(تاريخ غرناطة)** لابن الخطيب وغيرها.

رتب ابن حجر كتابه على حروف المعجم، فأول الحروف عنده (حرف الألف)، وبدأه بِمَن اسمه (إبراهيم) تبركا، ويقول: إنه "كان الأليق أن نبدأ بالهمزة الممدودة، لأن بعدها ألف، وهى قبل الباء، ولكن لم أجد فى ذلك من الفقهاء أحدًا، بل وجدت مثل (آقش) من الأتراك ونحوهم، و(آمنة) من النساء، وغير ذلك، فجعلت (آقش) فى (اق)، و(آمنة) فى (ام)، ونحو ذلك"[(١)]. وكان (حرف الياء الأخيرة) آخر الحروف عنده.

واهتم ابن حجر فى ترجماته بذكر تاريخ الميلاد، وصفات المترجَم، وأعماله، وتاريخ وفاته، كما يهتم بضبط العَلَم بالعبارات الدالة على الضبط. ويحوى الكتاب خمسة آلاف وثلثمائة وثلاثا وعشرين ترجمة.

وثانى هذه المعاجم: (ذيل الدرر الكامنة فى أعيان المائة التاسعة)، للمؤلف نفسه. ويبين المؤلف فى مقدمة كتابه دافعه إلى تأليف هذا الكتاب، فيقول: "كنت قد عَلَّقْتُ تاريخًا خاصًا بأعيان المائة الثامنة التى ولدت فى أثنائها، فلما شَارَفَ بأن يكمل رأيت المائة التى تليها قد دخل منها أكثر من الثلث، فأردت أن أضع على ذلك الأول ذيلا يشتمل على الأعيان الخاصة بالثانى، فالتمس منى بعض الأحبة الأعزة أن أجعل هذا الثانى على السنين، لتحقق عدم استيعاب المائة التاسعة"[(٢)].

---

(١) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة: ١/ ١١.

(٢) ذيل الدرر الكامنة فى أعيان المائة التاسعة. ص ٢٥.

جعل ابن حجر كتابه مرتبًا على السنين، فأوله (ذكر من مات في سنة إحدى وثمانمائة)، يليه (سنة اثنتين وثمانمائة)، وبعدهما (سنة ثلاث وثمانمائة) حتى (سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة)، وكان يرتب الأعلام في إطار كل سنة حسب الترتيب الهجائي، إلا أنه لم يكن يلتزم بهذا الترتيب في بعض الأحيان.

وحَرَصَ ابن حجر في كل ترجمة على ذكر وظيفة المترجَم، وأصله، وصفاته، ورحلاته، وميلاده، ومؤلفاته، وقد يذكر الشهر الذي مات فيه.

ومن المصنفات المهمة المرتبة على القرون: (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)، للسخاوي. (ت ٩٠٢هـ). يورد السخاوي في هذا الكتاب أعلام القرن التاسع، بدءًا من سنة إحدى وثمانمائة، من العلماء، والقضاة، والصلحاء، والرواة، والأدباء، والشعراء، والخلفاء، والملوك، والأمراء، والوزراء. ولا يقتصر فيه على بلد معين، بل يذكر فيه من اشتهر أمره في مصر، والشام، والحجاز، واليمن، وغيرها. وقد رتبه على حروف المعجم، الترتيب المعهود في الأسماء والآباء والأنساب والجدود، مبتدئا من الرجال بالأسماء، ثم بالكنى، ثم بالأنساب، والألقاب، فيبدأ في (حرف الألف) بالهمزة الممدودة، ثم بالهمزة التي بعدها باء، ثم بالتي بعدها راء، وهكذا. ثم يجيء (كتاب الكنى)، ويذكر "فيه من لم يعلم اسمه، أو علم ولكن لم يشتهر به، أو اشتهر ولكن بها أكثر"[1]، ويرتبه على (حرف الألف)، ثم (حرف الباء الموحدة) . . . وبعده (كتاب الألقاب)، وأورد فيه ما "أضيف إلى الدين ممن اشتهر بذلك، أو كان به أشهر من الاسم ونحو ذلك"[2]، ثم (كتاب الأنساب)، وهو قسمان: أولهما: (حرف الألف)، وثانيهما: (كتاب من عُرف بابن فلان). ويأتي بعد ذلك (معجم النساء)، وهو مرتب أيضًا على الحروف الهجائية، وأخيرًا (كتاب الكنى)، وهو خاص بالنساء.

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ٦: ٢.

(٢) السابق: ٦/ ١٥٢.

وكان السخاوى حريصًا على ذكر اسم المترجَم كاملا، وما عُرف به، والوظائف التى تولاها، ومؤلفاته، ومذهبه. وقد يطيل فى الترجمة للعَلَم، وقد يختصر إلى حد إيراد السطر الواحد عن المترجَم. وكان يقتصر فى تاريخ الوفاة على أن يقول مثلا: (مات سنة ثمان وتسعين)، دون ثمانمائة، لوثوقه بأنه ليس ثمة لبس. وقد لا يذكر تاريخًا للوفاة، متى جهله، فيكتفى بالقول، (وما علمت متى مات).

أما كتب التراجم المرتبة على الأقاليم، فتتمثل فى كتاب **(الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد)**، للأُدفوى (ت ٧٤٨هـ).

ألَّف الأُدفوى كتابه **(الطالع السعيد)** بناءً على طلب من شيخه وأستاذه أبى حيان الغَرناطى الأندلسى، المتوفى سنة (٧٤٥هـ)، الذى أشار على تلميذه أن يسجل أعلام النهضة العلمية والأدبية والثقافية فى صعيد مصر فى كتاب.

ترجم المؤلف فى هذا الكتاب لأعلام عصره من إقليم (قوص) وأعماله ومدنه. ويعود اختيار الكاتب للكتابة عن (قوص) إلى أنه قد نشأ فيه، وانتسب إليه، فأراد - كما يقول - أن يحيىَ ما مات من علم علمائها، وأن ينشر ما انطوى من فضل فضلائها، فاستجاب لإشارة أستاذه أبى حيان، الذى طلب منه أن يضع تاريخًا للصعيد.

سجل الأُدفوى فى هذا الكتاب كل ذى علم أو أدب، ولم يكن يذكر الأحياء إلا نادرا، ورتب الأعلام فيه على حروف المعجم، إلاَّ أنه لم يلتزم بهذا الترتيب فى كثير من الأحيان. والأعلام الواردة بالكتاب من الرجال، عدا أربع سيدات.

وأول أبواب الكتاب (باب الهمزة)، ويبدأ باسم (إبراهيم)، يليه (باب الباء) . . . إلى (باب الياء)، الذى يليه (باب فى الكنى)، وهو آخر الأبواب.

ثانيا: معاجم التراجم الخاصة:

ونعنى بها تلك المعاجم التى وُضعت لفئة معينة، أو طائفة محددة، أو لأصحاب وظائف خاصة، أو لبعض المنتمين لحرفة أو مهنة، أو لمن كانوا منتسبين لطائفة اجتماعية، أو لأفراد اتصفوا بصفة خلُقية محددة.

وتنقسم معاجم التراجم الخاصة إلى ما يلى:

(أ) معاجم تراجم الفقهاء والقرَّاء والمفسرين والحفاظ:

ثمة كتب عديدة وضعها أصحابها بغية تسجيل الفقهاء الذين ينتمون إلى مذهب معين، ومن ذلك (طبقات فقهاء الشافعية)، لابن قاضى شُهْبة[1] (ت ٨٥١هـ)، الذى تضمن التراجم التى تكثر حاجة الفقهاء إليها. ويذكر المؤلف فى مقدمة كتابه أنه سيقتصر "فيه على تراجم من شاع اسمه، واشتهر ذكره، واحتاج طالب العلم إلى معرفة حاله . . . وهذا فى الحقيقة هو المقصود من طبقات الشافعية، ولا أذكر غير المشهورين . . . لأن الإكثار من تلك التراجم يكثر على طالب الفقه، ويختلط عليه مقصوده بغيره . . . وأذكر فى المائة الثامنة والتاسعة، من لم يوجد فيه هذا الشرط، لقرب زمانهم، والتشوُّق لسماع أخبارهم"[2].

وقد رتب ابن قاضى شهبة كتابه على تسع وعشرين طبقة، وجعل الطبقة الأولى من الآخذين عن الإمام الشافعى، والثانية فيمن كان من الأصحاب إلى الثلثمائة، وبعد ذلك يذكر كل عشرين سنة طبقة، وكل طبقة مرتبة على حروف المعجم.

---

(١) هو تقى الدين أبى بكر بن احمد، ولُقِّب بابن قاضى شُهْبة، لأن نجم الدين عمر، وهو ابو جد أبى بكر، تولى منصب القضاء فى بلدة (شُهْبة)، إحدى بلاد جبل حوران مدة أربعين عاماً، فعرف أبناؤه وأحفاده من بعده ببنى قاضى شهبة.

(٢) طبقات الفقهاء الشافعية: ١/ ١٩، ٢٠.

ومن معاجم تراجم الفقهاء أيضًا: (**طبقات الشافعية الكبرى**)، للسُّبكى (ت ٧٧١هـ)، الذى يعرض تراجم فقهاء الشافعية، منذ الإمام محمد بن إدريس الشافعى (١٥٠هـ - ٢٠٤هـ)، إلى منتصف القرن الثامن، و (**طبقات الشافعية**)، لتاج الدين الإسنوى (ت ٧٧٢هـ). وهناك (**الجواهر المضية فى طبقات الحنفية**)، للقرشى (ت ٧٧٥هـ)، و (**الذيل على طبقات الحنابلة**)، لابن رجب (ت ٧٩٥هـ)، و (**الديباج المُذْهَب فى تراجم أعيان المَذْهَب**)، لابن فَرْحُون (ت ٧٧٩هـ)، وهو من فقهاء المذهب المالكى وأعيانه، و (**تاج التراجم فى طبقات الحنفية**)، لقاسم بن قُطْلُوبُغَا، (ت ٨٧٩هـ)، وهو مرتب على الحروف.

ومن الكتب التى عُنيت بالقُرَّاء: (**معرفة القُرَّاء الكبار على الطبقات والأعصار**)، للذهبى (ت ٧٤٨هـ)، و (**طبقات القُرَّاء**)، ويسمى (**غاية النهاية فى طبقات القراء**)، لابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ) وقد اختصره من كتاب آخر له، اسمه (**نهاية الدرايات فى أسماء رجال القراءات**).

* أما الكتب التى كان موضوعها أهل التفسير، فأهمها (**طبقات المفسرين**)، للسيوطى(ت ٩١١هـ)، وقد تحدث فيه عن المفسرين الصحابة والتابعين وتابعى التابعين، والمفسرين المعتزلة والشيعة. وقد أورد فيه مائة وستًا وثلاثين ترجمة، وله أيضًا (طبقات الحفاظ).

ويتصل بهذه التراجم: (**الإصابة فى تمييز الصحابة**)، لابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ)، و (**عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب**)، لابن عنبة (ت ٨٢٨هـ)، الذى يُعنى فيه بأنساب الطالبيين، فيجمع بين الفروع والأصول، وينبه على مواطن الخطأ والخلاف.

(ب) معاجم تراجم النحاة واللغويين:

تشهد فترة الدراسة أربعة كتب كان موضوعها تراجم أئمة النحو واللغة. وتعد هذه الكتب فى صدارة المؤلفات التى تهتم بهذا اللون من التراجم. وأول هذه

المصنفات: (إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين)، لعبد الباقي عبد المجيد اليماني (ت ٧٤٣هـ): الذي يترجم لطائفة من علماء اللغة والنحو، الذين برعوا في دراسة اللغة، ونالوا شهرة ملحوظة في هذا الميدان.

ولم يكن اليماني ينقل عن سابقيه بلا وعي أو مناقشة أو تعليق، بل كان يحقق ما يكتب، وينقد ما يدون، ويتحرى الدقة والصواب. وكان ناقدًا للرواية والرواة، عالما بطرق الجرح والتعديل.

وقد رتب المؤلف كتابه على حروف المعجم، فأول الحروف (حرف الهمزة)، يليه (حرف الباء)، وآخر الحروف (حرف الياء). ويقول في مقدمة كتابه: إنه قد وضع "مختصرا لطيفًا، يترجم عن أحوال النحويين واللغويين، ممن اشْتَهَرَ بمصنَّف، مطولا كان أو مختصرا، على سبيل الإمكان، فيما بلغني علمه . . . على سبيل الاختصار، متجنبًا الإطالة والإكثار، مرتبا على حروف المعجم"[1].

وحَرَصَ اليماني على ذكر اسم الشهرة بجوار اسم صاحب الترجمة، فمثلا عند الحديث عن (أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان التَّنوخي المعرى) ذُكر (أبو العلاء المعرى)، وبجوار (أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري أبو الفضل الميداني) كُتب (الميداني)، وكان (الأخفش الأوسط) مذكورًا بجانب (سعيد بن مَسْعدة المُجاشعي).

وثاني هذه المصنفات هو: (البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة)، للفيروزأبادي (ت ٨١٧هـ)، الذي يحتوي على أربعمائة وعشرين ترجمة. وكان من بين من ترجم لهم شعراء، وأدباء، وفقهاء، إلا أنهم كانوا جميعًا من أئمة النحو واللغة.

أورد المؤلف في هذا الكتاب تراجم لأكابر النحاة واللغويين منذ نشوء علم النحو وعلم اللغة حتى عصره، ورتب تراجمه على حروف المعجم، فبدأ بالألف، فالتاء،

---

(١) إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين. ص ٣.

إلى حرف الياء.. وترجماته القليل منها يبلغ صفحة أو صفحتين، والكثير منها مختصر، قد لا يتعدى سطرًا أو سطرين أو بضع كلمات. وقد يذكر أحيانًا صاحبَ الترجمة فحسب، متبعًا ذلك بقوله: (لم أقف له على ترجمة).

ويتسم كتاب (البلغة) بالإيجاز وعدم التطويل دون إخلال، ولعل الفيروزأبادى قصد هذا الإيجاز توخيًا للاختصار. وكان المؤلف حريصًا على ذكر لقب صاحب الترجمة، وكنيته، وإيراد بعض مؤلفاته ومصنفاته، وبيان سنة وفاته، مع الاستشهاد ببعض من شعر المترجَم فى بعض الأحيان.

ومن المعاجم التى اهتمت بتراجم علماء النحو واللغة:

(طبقات النحاة واللغويين)، لابن قاضى شهبة (ت ٨٥١هـ). وقد بدأه المؤلف بأسماء المحمدين، تكريمًا للنبى ﷺ، ثم رتب بقية الأعلام حسب حروف المعجم، فبدأ بحرف الألف، فحرف الباء، وكان حرف الياء آخر الحروف عنده.

وآخر هذه المعاجم: (بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة)، للسيوطى (ت ٩١١هـ). ويحوى هذا الكتاب تراجم لكل اللغويين والنحاة الذين كانوا فى عصور سابقة على عصر المؤلف، ممن جاء ذكرهم فى كتب النحو واللغة والأدب والتاريخ والتراجم ومعاجم الشيوخ، بالإضافة إلى مشاهداته وأخبار شيوخه وعلماء عصره. وقد عاد السيوطى إلى كثير من المصادر، وطَالَعَ ـ كما يقول ـ ما ينيف على ثلثمائة مجلد. ودفعه إلى تأليف هذا الكتاب تشوقُه ـ منذ نشأته ـ إلى كتاب يجمع أخبار النحويين، ويعود ذلك إلى عناية السيوطى بهذا الفن، فهو أول فنونه، والنوع الذى عُنى به قبل أن تجتمع شؤونه، كما يذكر فى مقدمة كتابه.

رتب المؤلف كتابه ترتيبًا هجائيا على حروف المعجم، وبدأ بمن اسمهم (محمد)، ثم بمن اسمهم (أحمد)، ثم حرف الهمزة، ثم الباء، إلى حرف الياء. ويجىء فى آخر الكتاب (باب الكنى والألقاب والنَّسب والإضافات) مرتبًا على

الحروف، ثم (باب المتفق والمفترق)، ويعنى به اتفاق الأسماء واختلاف المسميات، مثل: (أبى حيان)، فهناك أبو حيان التوحيدى، وأبو حيان الأندلسى. ثم (باب المؤتلف والمختلف)، وهو المتفق خطًا المختلف لفظًا، مثل: الفالى والقالى، يليه (فصل فيمن اسمه وَيه)، و(فصل فى الآباء والأبناء والأحفاد والأخوة والأقارب)، وآخر كتابه (باب فى أحاديث منتقاة من الطبقات الكبرى).

ولم يقتصر السيوطى فى إيراد الأعلام على بلد دون آخر، أو عصر دون غيره، بل كانت رؤيته شاملة، ونظرته عامة. وحَرَصَ فى كل ترجمة على ذكر تاريخ الميلاد والوفاة، إضافة إلى الشيوخ والمؤلفات، ولهذا كله يعد كتاب (بغية الوعاة) أفضل مؤلَّف فى هذا الفن.

(ج) معاجم تراجم الفئات الخاصة:

ونعنى بها تلك التراجم التى عُنيت بإيراد تراجم للرجال أصحاب الظروف الخاصة، الذين حُرموا من بعض نِعَم الحياة. وتتسم هذه النوعية من المعجمات بالتميز؛ لأنها تجمع أفرادًا عديدين، ينتمون إلى وظائف ومهن متعددة، وعُرفوا بالاشتغال بفنون وعلوم مختلفة، وعاشوا فى عصور متباينة، إلا أنهم يشتركون جميعًا فى الاتصاف بصفة معينة.

وتنقسم هذه المعاجم قسمين:

أولهما: ما يمكن أن نطلق عليه (معجم الفقراء)، ويمثله كتاب **(الفلاكة والمفلوكون)**[1]، لشهاب الدين الدَّلجى (ت ٨٣٨هـ). وقد أراد المؤلف من هذا الكتاب أن يكون "بديع المثال، منسوجًا على غير منوال، مخترعًا من غير سابقة مثال"[2]. ويشغل (معجم الفقراء) ما يقرب من نصف الكتاب الذى رتبه صاحبه

(١) الفلاكة: الفقر. والمفلوكون: الفقراء، مفردها: مَفْلُوك، ويجمع أيضاً على: مفاليك.
(٢) الفلاكة والمفلوكون. ص ٤.

على ثلاثة عشر فصلا، بدأه بالفصل الأول فى (معنى المفلوك)، ثم الفصل الثانى: (فى خلق الأعمال وبيان أن لا حجة للمفلوك فى التعلق بالقضاء والقدر). ويجىء (المعجم) فى الفصل العاشر: (فى تراجم العلماء الذين تقلصت عنهم دنياهم ولم يحظوا منها بطائل)، وكذا فى الفصل الحادى عشر: وهو (فى مباحث تتعلق بالفصل قبله، ومن المباحث النكبات الحاصلة للأعيان).

ولا يلتزم الدَّلجى بترتيب معين فى إيراد هؤلاء المفلوكين، ففى الفصل العاشر: يجىء (ابن مالك) قبل (الأخفش الصغير)، ويأتى (الخليل بن أحمد) قبل (الحريرى). وكان المؤلف حريصًا فى كل ترجمة على ذكر الاسم كاملا، والصفة أو الوظيفة التى عُرف بها، وبيان سنة الوفاة فى النهاية، وقد يستشهد بالشعر فى ثنايا الكلام عن المفلوك، الذى قد يكون هذا الشعر من نظمه هو، أو مما قاله غيره فيه. وسار الدَّلجى فى الفصل التالى (الحادى عشر) على النهج ذاته، فلم يتبع طريقة معينة فى الترتيب؛ إذ يورد (مالك بن أنس) قبل (البخارى)، و(النسائى) قبل (ابن الدهان). ويعد معجم المفلوكين، الذى يحوى مائة وأربعًا وثلاثين ترجمة، معجمًا فريدًا فى بابه، متميزًا فى مجاله.

أما ثانى قسمَىْ معاجم التراجم الخاصة فيمكن أن نسميه: (معجم العُميان)، ويتمثل فى كتاب (نَكْت الهِمْيان فى نُكَت العُميان)[1]، للصفدى (ت ٧٦٤هـ). وقد بَيَّن المؤلف فى مقدمة كتابه - أنه رأى ابن قتيبة قد ساق فى آخر كتاب (المعارف) فصلا فى المكافيف، منهم: أبو قُحافة (والد أبى بكر الصديق)، وكعب بن مالك الأنصارى، وحسان بن ثابت، وغيرهم، ثم رأى أبا الفرج عبد الرحمن بن الجَوْزى قد ساق فى آخر كتابه (تلقيح فهوم أهل الأثر) فى تسمية العميان الأشراف، منهم: عبد المطلب بن هاشم، وعبد الله بن عمر، وعمرو بن كلثوم، وغيرهم. ولم يضع كل من ابن قتيبة وابن الجَوْزى مصنفيهما لاستيعاب ذِكْر العُميان، وإنما ذكرا أشراف من

(١) الهِمْيان: شِدَاد السراويل، ونَكْتُه: رميُهُ وإلقاؤه على الأرض.

كان أعمى، وفعل ذلك غيرهما. ويذكر الصفدى أن بعضهم قد حثَّه على أن يضع للعميان تصنيفًا يخصهم فيه بالذكر.

كَسَرَ المؤلف كتابه على (خطبة الكتاب)، وعشر مقدمات، ومعجم. وبيَّن فى الخطبة الداعى إلى تأليف الكتاب، وعالج فى المقدمات العديد من الموضوعات، مثل: (التفاضل بين السمع والبصر)، و(فوائد تتعلق بالأعمى والعمى)، و(حكم بيع الأعمى وشرائه)، و (هل يعتبر اجتماعه بالزوجة خَلوة)، ثم (خاتمة لهذه المقدمات: فى ذكاء العُميان وطُرف أخبار تدل على ذكائهم). أما المعجم، وهو الغاية من هذا الكتاب، كما يقول مؤلفه، فقد ذكر فيه كل من وقع له ذِكْره وهو أعمى، سواء أوُلد أعمى أم طرأ عليه العمى بمرض أو غيره، فيسردهم على حروف المعجم ليسهل كشفه[1]. ورتب الصفدى معجمه على الحروف الهجائية، فأول الحروف عنده (حرف الهمزة)، يليه (حرف الباء)، وآخر الحروف (حرف الياء).

(١) انظر: نكت الهميان فى نكت العميان. ص ٨٧.

النتائـــــج

حـفلت فـترة الدراسـة ـ وهى القـرنان الثـامن والتـاسع الهجـريان ـ بعـدد من المعجـمات اللغوية العامة ذات الأثر الكبـير والمكانة المهمـة في المكتبة المعجـمية العربية، مثل: (لسان العرب)، لابن منظور، و (القـاموس المحيط)، للفيروزأبادى. ويضاف إلى هذا بعض المختصرات وكتب التصحيح والنقد المعجمى، مثل: (مختار الصحاح)، للرازى، و (الرامـوز على الصحاح)، لمحمد بن السـيد حسن، وكذلك (نفوذ السهم فـيما وقع للجوهرى من الوهم)، و(حلى النواهد على مـا فى الصحاح من الشواهد)، وكلاهما للصفدى.

وثمة أنماط فريدة من المعجمات اللغوية الخاصة، عُنى بعضها بالمثلثات، وظهر ذلك فى كـتابين، همـا: (المثـلث ذو المعنى الواحـد)، للبـعلى الحنبلى، و(الدُّرَر المُبَثّة فى الغرر المثلثة)، للفيروزأبادى. وكان البعض الآخر مما يجىء من الكلمات بالسين والشين، ممثلاً فى (تحبير الموشين فى التعبير بالسين والشين)، للفيروزأبادى أيضاً. وهنـاك نوعية ثالثـة، وهى كتب التـصحيح اللغوى، وتتـبدى فى (تصـحيح التصحيف وتحرير التحريف)، للصفـدى، و(التذييل والتكميل لِمَا استعمل من اللفظ الدخيل)، للبشبيشى. وأخيراً هناك معاجم المصطلحات التى تتمثل ـ فى هذه الفترة ـ فى (التـعريفـات)، للجرجـانى، و(معـجم مـقاليـد العلوم فى الحدود والرسـوم)، المنسوب للسيوطى.

ويشهد القـرنان الثامن والتاسع الهجـريان عدة مؤلفات فى إطار (مـعاجم غريب القرآن والحديث)، أسهم فيها الفيـروزأبادى بمؤلَّف واحد، وكذا السيوطى، بالإضافة إلى المعاجم التى تُعنى بالمعرب فى القرآن الكريم.

والراصد لحركة التأليف المعجمى فى هذه الفترة يلحظ وجود معاجم مرتبة على

الأسماء والألقاب والأنساب، منها: (الوافى بالوفيات)، للصفدى، و(المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى)، لابن تغرى بردى. ومما يتصل بالألقاب: (نزهة الألباب فى الألقاب)، لابن حجر، و (لب اللباب فى تحرير الأنساب)، للسيوطى.

ورتب بعض المصنفين معاجم للأعلام على القرون والأقاليم، مثل: (الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة)، و(الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد)، للأدفوى.

ويضاف إلى هذه المعجمات كثيرٌ من المصنفات التى عُنيت بتراجم الفقهاء والقرَّاء والمفسرين والحفاظ، وكذا التى اهتمت بتراجم النحاة واللغويين، وتلك التى كان موضوعها أصحاب الحالات الخاصة، مثل: الفقراء والعُميان.

وثمة أمر جدير بالانتباه، وهو أن هناك مؤلفين ومصنفين أسهم كل منهم بعدة مؤلفات فى إطار العمل المعجمى، ويبدو ذلك فيما يلى:

١ - **الذهبى، (ت ٧٤٨هـ)**: له: (المشتبه فى الأسماء والأنساب والكُنى والألقاب). و(سير أعلام النبلاء). و(معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار).

٢ - **الصفدى، (ت ٧٦٤هـ)**: له: (تصحيح التصحيف وتحرير التحريف). و(الوافى بالوفيات). و(نَكْت الهميان فى نُكت العميان). و(نفوذ السهم فيما وقع للجوهرى من الوهم). و(حلى النواهد على ما فى الصحاح من الشواهد).

٣- **الفيروزأبادى، (ت ٨١٧هـ)**: له: (القاموس المحيط). و(الدرر المبثثة فى الغرر المثلثة). و(تحبير الموشين فى التعبير بالسين والشين). و(بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز).

٤ - **ابن قاضى شهبة، (ت ٨٥١هـ)**، له: (طبقات فقهاء الشافعية). و(طبقات النحاة واللغويين).

٥- **ابن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ)، له:** (نزهة الألباب فى الألقاب). و (تبصير المنتبه بتحرير المشتبه). و(الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة). و(ذيل الدرر الكامنة فى أعيان المائة التاسعة). و(الإصابة فى تمييز الصحابة). و(إنباء الغمر بأبناء العمر).

٦- **ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ)، له:** (المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى)، و(الدليل الشافى على المنهل الصافى)، و(النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة)، و(مورد اللطافة فى ذكر من ولى السلطنة والخلافة).

٧- **السيوطى، (ت ٩١١هـ)، له:** (لب اللباب فى تحرير الأنساب)، و(التذييل والتذنيب على نهاية الغريب)، و(المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب)، و(المتوكلى)، و(طبقات المفسرين)، و **(بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة)**. و**(طبقات الحفاظ)**.

المصـــــادر

(الكتب التى تناولها البحث بالدراسة والتحليل):

١- **الأُدفوى**: (أبو الفضل كمال الدين جعفر بن تغلب الأُدفوى: الشافعى)، (ت ٧٤٨هـ).

- **الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد.**

الدار المصرية للتأليف والترجمة، (١٩٦٦م).

٢- **البشبيشى**: (عبد الله بن محمد العُذرى). (ت ٨٢٠هـ).

- **التذييل والتكميل لما استعمل من اللفظ الدخيل.**

تحقيق: سعد محمد حسن. مراجعة: د. طه الحاجرى.

مخطوط بدار الكتب، تحت رقم (٢٣١) ـ علم اللغة.

٣- **ابن التركمـــانى**: (علاء الدين على بن عثمان بن إبراهيم المارِدِينى)، (ت ٧٥٠هـ).

- **بهجة الأريب فى بيان ما فى كتاب الله العزيز من الغريب.**

تحقيق: خالد محمد خميس (جـ١)، ورمضان عبد المطلب(جـ٢)، إشراف ومراجعة: د. أحمد عبد المجيد هريدى.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م).

٤- **ابن تغرى بردى**: (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى). (ت ٨٧٤هـ).

- **المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى.**

تحقيق: محمد نجاتى.

دار الكتب المصرية، (١٣٧٥هـ).

- **الدليل الشافى على المنهل الصافى.**

تحقيق وتقديم: فهيم محمد شلتوت.

مكتبة الخانجى بالقاهرة، (١٩٨٣م).

- **النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة.**

وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة، (١٩٦٣م).

٥- **ابن حجر العسقلانى:** (شهاب الدين أحمد بن على بن محمد)، (ت٨٥٢هـ).

- **الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة.**

ضبطه وصححه: الشيخ عبد الوارث محمد على.

دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

- **ذيل الدرر الكامنة فى أعيان المائة التاسعة.**

تحقيق وتعليق: الشيخ أحمد فريد المزيدى.

دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

- **نزهة الألباب فى الألقاب.**

تقديم وتحقيق وتعليق: د. محمد زينهم محمد عزب.

دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ط١، (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٦- **حسن:** (محمد بن السيد حسن)، (ت ٦٦٨هـ).

- **الراموز على الصحاح.**

مكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة.

٧- **الحلبي**: (الشيخ أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي)، (ت ٧٥٦هـ).

- **عُمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ.**

تحقيق: د. محمد التونجي.

عالم الكتب، بيروت، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

٨- **الحنبلي**: (محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل بن بركات البعلي الحنبلي). (ت ٧٠٩هـ).

- **المثلث ذو المعنى الواحد.**

تحقيق ودراسة: د. عبد الكريم عوفي.

منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

٩- **أبو حيان**: (أبو حيان الأندلسي)، (ت ٧٤٥هـ).

- **تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب.**

تحقيق: سمير طه المجذوب.

المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨).

١٠- **ابن الخطيب**: (أبو العباس أحمد بن حسن بن علي، ويعرف أيضًا بابن القنفذ). (ت ٨٠٩هـ).

- **الوفيات.**

تحقيق وتعليق: عادل نويهض.

دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان، ط٤، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

١١- الدَّلجى: (شهاب الدين أحمد بن على بن عبد الله الدلجى). (ت ٨٣٨هـ).

- **الفلاكة والمفلوكون.**

دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

١٢- الرازى: (محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى).

- **مختار الصحاح.**

عنى بترتيبه: محمود خاطر. مراجعة: لجنة من مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية. (١٩٧٦م).

١٣- السخاوى: (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى). (ت ٩٠٢هـ).

- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.**

منشورات مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، (د.ت).

١٤- السَّلامى: (تقى الدين أبى العالى محمد بن رافع السَّلامى). (ت ٧٧٤هـ).

- **الوفيات.**

تحقيق وتعليق: صالح مهدى عباس، إشراف ومراجعة: د. بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١، (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

١٥- السيوطى: (جلال الدين عبد الرحمن السيوطى)، (ت٩١١هـ).

- **بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة.**

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

دار الفكر، ط٢، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

- **(التذييل والتذنيب على نهاية الغريب).**

تحقيق: د. عبد الله الجبورى.

منشورات دار الرفاعى للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٨٢م).

- **المزهر.**

تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلى محمد البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم.

دار التراث، ط٣، (د.ت).

- **المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب.**

تقديم وتحقيق: د. التهامى الراجى الهاشمى.

اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامى بين المملكة المغربية ودولة الإمارات، (د.ت).

- **المتوكلى ويليه (رسالة فى أصول الكلمات).**

دار زاهد القدسى، (د.ت).

- **لب اللباب فى تحرير الأنساب.**

دار صادر، بيروت - لبنان، (د.ت).

- **معجم مقاليد العلوم فى الحدود والرسوم.**

تحقيق: د. محمد إبراهيم عبادة.

مكتبة الآداب، ط١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).

١٦- **الصفدى:** (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى)، (ت ٧٦٤هـ).

- **تصحيح التصحيف وتحرير التحريف.**

حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: السيد الشرقاوى.

مكتبة الخانجى بالقاهرة، ط١،

(١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

- **نكت الهميان فى نكت العميان.**

وقف على طبعه: أحمد زكى بك، وعنى بطبعه ونشره: أسعد طرابزونى الحسينى.

المطبعة الجمالية بالقاهرة، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤).

- **الوافى بالوفيات.**

منشورات المعهد الألمانى للأبحاث الشرقية، بيروت، (١٩٣١م).

- **حلى النواهد على ما فى الصحاح من الشواهد.**

- نفوذ السهم فيما وقع للجوهرى من الوهم.

١٧- **ابن عنبة:** (جمال الدين أحمد بن على الحسنى). (ت ٨٢٨هـ).

- **عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب.**

مكتبة المعارف، الطائف، (١٤٠٠هـ).

١٨- **الفيروزأبادى:** (أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادى). (ت ٨١٧هـ).

- **القاموس المحيط.**

مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧).

- **الدُّرَر المُبَثَّة فى الغُرر المثلثة.**

شرح وتحقيق: الطاهر أحمد الزاوى.

الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط١، (١٩٨٧م).

- تحبير الموشين فى التعبير بالسين والشين.

تحقيق: أحمد عبد الله باجور.

الدار المصرية اللبنانية، ط١، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩).

- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز.

تحقيق محمد على النجار.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط٣، (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).

- البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة.

تحقيق: محمد المصرى.

مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط١، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

١٩- الفيومى: (أحمد محمد بن على الفيومى). (ت ٧٧٠هـ).

- المصباح المنير.

مكتبة لبنان، (١٩٨٧م).

٢٠- ابن قاضى شُهْبة: (تقى الدين أبى بكر بن أحمد ابن قاضى شُهْبة)، (ت ٨٥١هـ).

- طبقات الفقهاء الشافعية.

تحقيق: د. على محمد عمر.

مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة. (د.ت).

- طبقات النحاة واللغويين.

مخطوط رقم ٢١٤٦، تاريخ تيمور.

٢١- الكتبى: (محمد شاكر الكتبى)، (ت ٧٦٤هـ).

- فوات الوفيات والذيل عليها.

تحقيق: د. إحسان عباس.

دار صادر، بيروت. (د.ت).

٢٢- ابن الهائم: (شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصرى)، (ت ٨١٥هـ).

- التبيان فى تفسير غريب القرآن.

دراسة وتحقيق وتعليق: د. فتحى أنور الدابولى.

دار الصحابة للتراث بطنطا، ط١، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

٢٣- اليمانى: (عبد الباقى عبد المجيد اليمانى). (ت ٧٤٣هـ).

- إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين.

تحقيق: د. عبد المجيد دياب.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).